مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (١)، ص ص ٩٥-١٥٠، (محرم ١٤٣٧هـ/ أكتوبر ٢٠١٥)

تأمّلاتٌ في عناصر التشكيل الفني لدى الشاعر عبدالله حمد السناني (ت١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)

د. إبراهيم عبدالرحمن المطوع
جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص البحث. كان الشاعر عبدالله حمد السناني (١٣٥١-١٤٠٩هـ /١٩٣٠-١٩٨٨م) واحداً من شعراء عنيزة بمنطقة القصيم الذين ظهرت أصواتهم الشعرية بعد عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م في الإقليم الأوسط في المملكة.

كان تعامله مع الصحافة، ومع المنابر محدودا، وهو ما قلّل من انتشار شعره مقارنةً بزملائه، في الوقت الذي كان يتمتع بموهبة شعرية مبكرة، فحين صدر كتاب عبد الله بن إدريس: شعراء نجد المعاصرون عام ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م كان الشاعر السناني من ضمن شعراء الكتاب، وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره.

وبعد هذه البداية المتوهجة، يبدو أن الحياة العملية والاجتماعية الخاصة صرفت الشاعر السناني عن الانتظام في الكتابة الشعرية إلى حدّ ما، فلم تظهر له على السطح مشاركات منبرية، أو قصائد منشورة في الصحف والمجلات، مع الجزم بأن له نصوصاً في هذا الطور، حيث رأيتُ في مسودات قصائده المجموعة تفاعلا وعاطفة تجاه المواقف والأحداث الخاصة والعامة، وسمعتُ من زملائه وجلسائه بأن لهم معه محاورات ومساجلات شعرية بالفصحى والعامية.

وهذا البحث هو أول دراسة نقدية منهجية عن شعر الشاعر عبدالله حمد السناني، تناولت فيها التعريف به، ودراسة موضوعات شعره، ولغته الشعرية، والرؤية (النظرية) الشعرية لديه، وهي دراسة مختصرة وأولية يُنتظر أن تتلوها دراسات أكثر عمقا وتركيزا.

المقدمة

يعدّ الشاعر عبدالله السناني (١٣٥١-١٤٠٩هـ /١٩٣٠-١٩٨٨م) واحداً من طائفةٍ من شعراء المملكة الذي ظهرت أصواتهم الشعرية بعد عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م في الإقليم الأوسط في المملكة، وهو الإقليم الذي لم يكن له حضور يوازي حضور إقليم الحجاز إلا بعد هذه الفترة، ومع هذه الكوكبة من الشعراء، من أمثال: محمد فهد العيسى، وإبراهيم الدامغ، وعبدالله العثيمين، وصالح أحمد العثيمين، إبراهيم العواجي، وعبدالعزيز النقيدان، وسليمان الشريّف، ومحمد المسيطير، ومحمد الشبل، وحمد الحجي، فأخذت أسماؤهم وإبداعاتهم تظهر في كتب التراجم، وفي الصحف والمجلات، وفي الدراسات الأدبية والنقدية، من أمثال: كتاب التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية لعبد الله عبدالجبار ١٩٥٩م، وكتاب شعراء نجد لابن إدريس ١٣٨٠هـ، والعدد الخاص من مجلة المنهل عام ١٣٨٦هـ، وكتاب الحركة الأدبية في المملكة للدكتور بكري شيخ أمين، وكتاب الأدب الحديث في نجد لابن حسين١٣٩١هـ، وكتاب تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش عام ١٣٩١هـ.

زامن الشاعر السناني هذه الكوكبة، وكان تعامله مع الصحافة، ومع المنابر محدودا، وهو ما قلّل من انتشار شعره مقارنةً بزملائه، وقد كان يتمتع بموهبة شعرية مبكرة، فحين صدر كتاب عبد الله بن إدريس: شعراء نجد المعاصرون عام ١٣٨٠هـ كان الشاعر السناني من ضمن شعراء الكتاب، وقد قال عنه: (شاعر جيد، إلا أنه مُقلّ، وتعوزه الأجواء الملونة، ومع ذلك فإن القارئ سيجد في مختاراتنا لهذا الشاعر كثيرا من النفثات الدافئة، واللفتات التصويرية الحلوة)، ثم أدرج بعد الترجمة نماذج من شعره، بلغ عددها: ٤قصائد، وعدداً من المقطوعات الشعرية، والرباعيات، بلغ مجموع أبياتها: ١٦٢بيتاً [١]، والشاعر السناني ـ حينها ـ لم يبلغ الثلاثين من عمره.

وبعد هذه البداية المتوهجة، يبدو أن الحياة العملية والاجتماعية الخاصة صرفت الشاعر السناني عن الانتظام في الكتابة الشعرية إلى حدّ

(١) عبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ص ٢٦٩

ما، فلم تظهر له على السطح مشاركات منبرية، أو قصائد منشورة في الصحف والمجلات، مع التأكيد بأن له نصوصاً في هذا الطور، حيث رأيتُ في مسودات قصائده المجموعة تفاعلاً وعاطفة متأججة تجاه المواقف والأحداث الخاصة والعامة، وسمعتُ من زملائه بأن لهم محاورات ومساجلات شعرية معه بالفصحى والعامية.

لكنه كان مُنصرفا عن النشر في الصحافة، ومنصرفا عن التفكير في جمع شعره وإصداره في ديوان مطبوع، بل إنه تخلّص من كثير من نصوص البدايات وفترة الشباب، أو أنها فُقدت، حيث أن مسوّدات القصائد التي جمعتُها كانت من شعر الفترة (الطور) الأخير من حياته من عام ١٣٩٥هـ تقريبا إلى وفاته عام١٤٠٩هـ.

وبعد هذه الرحلة الشعرية للشاعر السناني أمكن لي أن أرصد له مجموعة شعرية، وانطلاقاً من هذه المجموعة رأيت أن أُقدّم هذه الدراسة، وهي أول دراسة مُفصّلة عن شعر الشاعر عبدالله حمد السناني، ريثما يأخذ الديوان طريقه إلى الطباعة والنشر، لعلها أن تكون محفّزة لظهور الديوان لتقوم دراسات حول جوانبه الفنية والموضوعية (٢)، كما رغبت أن تكون دراستي مُحلِّقة على مسافة مرتفعة إلى حدٍ ما فوق تضاريس شعر السناني، لظروف هذا البحث، وسميتها قراءة (أولية) استطلاعية، ومن ثم أترك الفرصة لغيري للتحليق المنخفض والهبوط على سطح شاعرية السناني، لأن رقعة شعره واسعة، وتحتاج إلى تأمل أكبر وتحليل أوسع، وهي أرض بكر وخصبة ومُغرية للباحثين لتأملها وتحليلها، بسبب غزارتها وجمالياتها الفنية.

التعريف بالشاعر

هو عبد الله بن حمد بن علي السناني ، وأسرة السناني من قبيلة سُبيع، وهي قبيلة عدنانية مضرية، وتقيم هذه الأسرة في عنيزة منذ أزمنة بعيدة، وهو من أسرة لها عناية بالعلم والتعليم، فجدُّه، وجدّ أبيه، وأعمام

(٢) سيلحظ القارئ الكريم في هذا البحث ميل الباحث إلى الإطالة في الاستشهادات الشعرية، وهذا عائد إلى الرغبة في نشر أكبر قدر من شعر الشاعر السناني الذي لايزال مخطوطا، وليس من مؤشرات قريبة لظهوره ونشره.

جدّه من كبار علماء عنيزة، فجدّه علي تتلمذ عليه عدد من المشايخ منهم: عبد الرحمن السعدي، وصالح عثمان القاضي [٣].

ولد الشاعر السناني في عنيزة عام ١٣٥١هـ، كما ذكر ابنه عصام في ترجمته لوالده، استنادا على حفيظة النفوس الرسمية، كما أثبت هذا كل من: عبدالله بن إدريس، وعبد الكريم الحقيل، وأحمد قبش، ومجلة المنهل في عددها الخاص بأدباء المملكة، وصالح محمد القاضي، وتابع هؤلاء: معجم الأدباء والكُتّاب (الدائرة للإعلام)، أما الشيخ عبد الله البسام فقد حدّد مولد الشاعر السناني في عام ١٣٤٩هـ، أما د/ الهويمل فقد ذكر أنه من مواليد عام ١٣٥٨هـ، وهو تاريخٌ غير دقيق[٤] .

نشأ في عنيزة، وتعلّم في مدارسها النظامية في مدرسة الأستاذ صالح بن صالح، وكان من المتأثرين بأستاذه في علمه وأدبه وخُلُقه، فقد وجّهه إلى الأدب الرفيع، والذوق العالي، وتعلّم منه أدب النفس، وأدب الدرس، وصقل فيه موهبة الكتابة النثرية والشعرية، وشجّعه على القراءة الحرّة، وقد عبّر الشاعر السناني عن عمق علاقته بأستاذه، وأثره في شخصيته وأدبه في قصيدته التي رثاه بها عند وفاته عام ١٤٠٠هـ، من قصيدته (في موكب الدمع)، ومنها قوله:

تعاهدْتني في الزهر كُمّاً مغلّفاً وفتّحته بالسقي من نبعك العذب
تفتّحتُ في أحضان كفك زهرةً تضوع أريجاً عن شمائلك الحُدْب
فلولاك ما اهتزّت غصونٌ وكنا بوحل الجهل من عفن الترب وأثمرت
وهل نحن إلا بعض ما أنت مُنتجٌ كنهر صغير في محيطك منصب
وكُنّا نُجيمات تهيم بأطلسٍ بك انجذبت للشمس أو كوكب القطب
فمنك استمدّت ضوءها ومدارها
وأولعت بالأرواح تُتقن صقلها ترفّ على قطبيك سرباً إلى سرب
فكم فسحة مرّت علينا طويلة

(٣) عبد الله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤ /٨٨، وانظر ترجمة جدّه الشيخ علي في الكتاب نفسه ٢٤٨/٥

(٤) الهويمل، اتجاهات الشعر في نجد ص ٣٥٣

وكم حصّة مرة علينا قصيرة فأنبتّ أسرار القداسة في اللبّ
سلونا بها الألعاب وهي حبيبةٌ نكابدها بالانتظار مع الصحب
نفذت إلى أرواحنا من دروسنا قبسنا بها من طور سيناء عن قرب
وجُعنا فلم نشعر بأكلٍ ولا شرب
فأغريتنا بالعلم كالطير بالحَبّ (٥)

والتحق بالتدريس مبكراً فور تخرّجه من المدرسة العزيزية (مدرسة الأستاذ ابن صالح)، فعُيّن مدرّساً في المدرسة السعودية التي أُنشئت عام ١٣٦٨هـ، فدرّس معظم المواد مع التركيز على الخط العربي لبروزه فيه، وجمال خطّه، ومعرفته لقواعده، ثم تحوّل إلى العمل الإداري في الثانوية العامة، حتى تقاعده عام ١٤٠٧هـ، وتتلمذ عليه طلبة كثيرون، وكان محبوباً ومتميّزاً في عمله وأدائه (٦) .

نشأته الأدبية

في عام ١٣٧٣ هـ قام عددٌ من المثقفين في عنيزة بتأسيس أول نادٍ أدبي في نجد، وكان مجلس إدارته مكوّناً من رجال التعليم، وجُمعت له تبرعات، واشتُري له مقر، وأُنشئت له مكتبة كبيرة (٧)، وكان من المشاركين في إنشائه: الأستاذ صالح بن صالح، والأستاذ عبدالله علي النعيم، والشيخ عبدالله البسام، والأستاذ عبدالله الجلهم (٨).

وشهد هذا النادي مولد بعض الأصوات الشعرية، من أمثال الشاعر: عبدالله السناني، وكان يُعتبر شاعر النادي، كما تفاعل معه عدد

---

(٥) عبد الله السناني، من كتاب: معلّم ومجتمع ص ١٢١، من إصدارات مركز ابن صالح الثقافي ١٤٠٨هـ

(٦) صالح محمد القاضي، عبد الله السناني، شاعر النقاء والرثاء، مقال في المجلة العربية، عدد ربيع الثاني ١٤٠٩هـ، ص ١٨

(٧) إبراهيم التركي، عبد الله العلي النعيم.. الإدارة بالإرادة ص ٣٥ من إصدارات مركز صالح بن صالح الثقافي ١٤٢٣ هـ

(٨) عبد الله البسام، علماء نجد ٩٩/١ و ٢/ ٥٥٢

من الشعراء والأدباء من خارج المنطقة، من أمثال الشاعر: محمد فهد العيسى إبّان إقامته في جدة للعمل في مصلحة الزكاة والدخل، ود/ محمد الشامخ إبّان إقامته في القاهرة للدراسة، والشيخ عبد الرحمن العبد الله أبا الخيل من جدة، والشيخ محمد المرشد الزغيبي من وزارة الخارجية، والشيخ سليمان محمد الحميضي مدير المدرسة السعودية بالسيل بالطائف، وكثيرين من أبناء المنطقة المقيمين خارجها للعمل والتجارة، ومن خارج المملكة من أمثال: د / عبد الرزاق البصير من الكويت، ووجد تفاعلاً وحماسةً لهذا المشروع الجديد، وبادر عددٌ من أبناء المنطقة إلى التبرع لمكتبة النادي بالكتب المتنوعة، وتسجيل اشتراكات لها في بعض الصحف والمجلات (٩)، وتوقف نشاط النادي بعد عامين (١٠)، أما المكتبة فقد ضُمّت إلى المكتبة العامة في عنيزة التابعة لإدارة التعليم.

وفاته

توفي رحمه الله في يوم الجمعة ١٤٠٩/١/٢١هـ الموافق ٩/٢/ ١٩٨٨م، وكان لوفاته وقعٌ في قلوب محبّيه، أفصحت عنها قصائدهم التي رثوه بها، من مثل رثائية صديقه الشاعر / عبد الرحمن منير المساعد (١١)، حيث يقول فيها:

خسرناك يا وجه المروءة والندى ... ويا رافع الغايات عما يريبها
خسرناك أستاذاً وحامل رايةٍ ... تدور رحاها كيف شاء لبيبها
قرابة نصف القرن والليل شعلةٌ ... تلظّى على ارأس اليفاع لهيبها
تنافح بالإيمان عن مجد أمّةٍ ... عوى من وراء السدّ للشاة ذيبها
لعل الذي فيها سمادير غفوةٍ ... وعما قليلٍ تستقيم دروبها

(٩) عبدالله الجلهم، خواطر مرسلة، مركز ابن صالح الاجتماعي ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م

(١٠) عبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ص ٢٦٩

(١١) ولد في عنيزة في حدود عام ١٣٦٠ هـ، وفيها تلقّى تعليمه، ثم انتقل إلى الرياض للدراسة في كلية اللغة العربية، وحصل على شهادتها، ثم التحق في سلك التعليم مدرّساً في المرحلة الثانوية، ولم يتحوّل عنها على الرغم من ترشيحه للتوجيه والإشراف التربوي، رغبةً منه في الاحتكاك المباشر بالطلاب الذين أحبّهم وأحبّوه، وظلّ في التدريس حتى تقاعده عام ١٤١٣هـ ليتفرّغ لأعماله الخاصة، لديه مجموعة شعرية اعتذر عن تزويدي بنسخة منها بعد أن طلبتها منه لأنها ـ حسب رأيه ـ مجموعة متواضعة.

بأي كتاب يخفر الحفل صوته وأنت المعاني ربّها وربيبها
إليك انتهى سحر القوافي طبيعةً يتيه على الروض القشيب
لينهزم الحرف الكثيف ضبابه قشيبها
ذوى القول من بعد السناني ويبقى لنجدٍ شيخها وأديبها
وأقفرت مجامع فيها قيسها وحبيبها
وكم قائل بالفأل تدرك راحةً فقلتُ وما يرتاح إلا كئيبها (١٢)

ومن مثل رثائية الشاعر حسين مبارك الفايز (١٣)، التي قال فيها:

الحمد لله ربي لا شريك له أشدو بذكرك يا رحمن مبتهلا
أن تجعل الجنة المأوى لخير تناولته يدر الأقدار ممتثلا
أخٍ والحمد لله أسمى كل ما فعلا
قدٍ عايش الموت في أحشائه وكنت أستاذنا إن سائلٌ سألا
زمناً إن عنّ أمرٌ من الأحداث أو أفلا
كم كنت فينا أبا سامي أخا ثقةٍ (١٤)
مَنْ للقوافي أبا سامي ينسّقها

المحاور الموضوعية

محور الأم:

أما علاقة الشاعر السناني بوالدته فيصفها ابن الشاعر قائلا (والدته مدرسته الأولى: كانت الجدة بالنسبة للوالد رحمهما الله هي الأم والأب والأخ؛ لأنه رحمه الله عاش يتيماً، فهي مربيته ومدرسته وملهمته لم

(١٢) جريدة الرياض، عدد ٧٤٢٣ في ١٤٠٩/٣/٩هـ ص ١٠

(١٣) ولد في عنيزة عام ١٣٦٥هـ، وفيها تلقى تعليمه، حتى حصل على شهادة المعهد العلمي، ثم انتقل إلى الرياض وحصل على الشهادة الجامعية من كلية اللغة العربية بالرياض، عمل مدرّساً في عدة معاهد علمية، كان آخرها المعهد العلمي في عنيزة حتى تقاعده، وأُعير لعدة سنوات للعمل في مركز ابن صالح الثقافي مسؤولاً عن النشاط الثقافي، له ديوان شعر مطبوع : من رؤى عنيزة. انظر: الغلاف الأخير من الديوان المذكور

(١٤) حسين الفايز، ديوان من رؤى عنيزة ص ٥٨

يفارقها يوماً إلا لسفر عارض، ولما اختير للسفر لمكة في شبابه مع بعض زملائه لإكمال الدراسة أبت عليه فترك ذلك من أجلها، فقد كان رحمه الله بَراً بها بِراً لا أعرف له نظيراً في المعاصرين.... ولذا فهو لا يدخل البيت أو يخرج إلا ودخل غرفتها وجاذبها الحديث، ولا يأكل إلا معها في غرفتها إلا نادراً، ولا يدخل للبيت شيئاً إلا بعد أن تراه وبعد أن عميت بأن تمر يدها عليه فتختار منه ما تريد، ولا ينام حتى تأوي إلى فراشها فيغطيها ببردته "بشته" الذي على كتفيه فوق أغطيتها خشية عليها من البرد. فإذا غضبت ذات يوم فلا يعرف نوماً حتى ترضى، حتى إنه في شبابه إذا أغلقت على نفسها حجرتها "الروشن" وهي غضبى كان يتسور السطح "الطاية" على منور غرفتها فيقبل يديها ورأسها حتى ترضى كما حكت لي ذلك والدتي حفظها الله..)) (١٥)، وانعكست صورتها في شعره، وكان حضورها طاغيا في شعره، في حياتها، وفي فترة مرضها، وبعد وفاتها.

ففي حياتها كانت هي الأب والأم، فلم يشعر بمرارة اليتم، وانكسار القلب، فقد عوّضته عطف الأب، فصوّر ـ في قصيدته التي اختار لها عنوان (أمي) بحروفه القليلة، ومعانية العميقة ـ تمرحلات حياته تحت شجرة عطفها، وأمومتها، منذ تخلّقه في رحمها إلى أن بلغ الخمسين من عمره ـ عند نظم القصيدة قائلا:

لسوف أنضو ثياب العمر مرتحلاً ... وما اعتقدتُ سوى أمّي من البشر
تلك التي ابتسمت لما بسمت بها ... وفاض مدمعها النضاخ في كدري
هي التي آنست نفسي برحمتها ... في وحشتي بصباي الذابل النضر
وكل شيء بكوني فهو من يدها ... منذ انسربت وفي أحشائها قدري
أقمتُ في بطنها عرشاً أنام به ... وكان أرأف من كُمٍّ على ثمر
فمخبئي لا يبالي هجمة الخطر ... محرمي لم يقززني ولا صفري
إلا لتسبح في اللألاء والصور ... نفسي بحرٍّ ولا بردٍ ولا مطر

(١٥) عصام السناني، من سيرة حياة الشاعر مكتوبة في عام ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

تمرُّ من حـــولي الــساعات وأين أبلغ في أمدائه وطري
حــانيةً ملك السماوات والفردوس فهو
تخطو الفصول على عمري فما حري
شعرت أمَّنْتُهُ ثم خان العهد في أشر
تحملت كل شـــيء دون فعقّني فاستحقّ البعد في نظري
أغـــشيتي حتى ولو أنني راعيك في كبري
وكنت حـــملا جميلا لا فزعت في صبحه من طارق النذر
يــراودها على سريري وحوضي جذّ عن
يارب كيف تــطيق النفس فِقَرِي
واجــبها وعودتي أطرح العكاز للشجر
يارب فا منح ملاك الأرض خفق الأمومة أو تنهيدة الضجر
جــائزة لكن ظنونك قد ضمت على الحذر
ولا تقل لـــي غداة العرض يا تفيض فلسفة كبرى لمعتبر
رجلاً كالشمس تجلّى – تعالى الله- في
ناجـــيتُهُ من فـــــؤاد الأم القمر
مقترباً اسمي التعاليم من باقتك الغرر
يا أم طول حياتي كنت راعيتي ذهني على كوة الكتاب والصور
كم ليلة - من منامي –بِتّ ســاهرة أصيص حضنك يغري غيرة
لم أنس ما أمطرت عيناك في الزهر
هــلع في باقة ذدت عنها لسعة الدبر
كأنما كنت لي بشرى وحيدة دون شكوى الحال والخور
بعـــــافيتي في عزة من إباء النفس والخفر
طافت علي قــلوب لا أحـــس أن تشربي الشهد في كأس من
بها الصبر
ترى التجلد يخـــفي ما أكابده حتى بقيت حطاما في دنى الذكر
قدست من أنت يا أماه آيته حتى وصلت إلى صلح مع الظفر
أرى الإله جميلاً أنت مسرحه روحي ويشدو على إلهامه وتري
ها أنت طول حياتي لي معلمة وإنْ أمُتْ رسمت نجواك في
صرت الطريق إلى ربي وفاتحة حجري

رعيتني زهرة وقت الجفاف وبي قداسة الفضل في سمع ولا بصر
حممتني بالندى واليتم يعصف بي كفي لك الرفد من سعدي ومن
لقد تحملت ما تشقى الرجال به عمري
صحبت دنياك بالحرمان باذلة
وعشت في نشوة الإيمان قادرة
وهبتِ ما ملكتْ كفّاك مُؤْثِرة
لكم تفانيتِ من أجلي مضحية
لسوف تبقين رمزاً يستعيد له
أميس عبر حياتي في مطارفه
لولا الأمومة في الدنيا لما وقعت
ليت الحياة كما أهوى إذا وهبت

وفي فترة مرضها الذي طالت مدّته، وهو يراها طريحة الفراش، وقد تمكن منها المرض، وزادت وطأته عليها، وهو يتردّد عليها في المشفى، فاقداً الحيلة في دفع المرض عنها، نظم قصيدتين قصيرتين (١١ و١٢ بيت)، مصوّراً مشاعره وآلامه ويأسه تجاه حالتها:

يقولون كيف الحال ؟ قلت بخيرٍ وتكفي حال من صَحِبَ كعهدكم المرضى
حمدت إلهي كل حال جميلة من الله لو أن النفوس بها ترضى
أعزُّ حبيب برثن الداء ضمّه ويرفض إلا مَصّ مهجته مخضا
نُمرّضه واليأس منه مكشّرٌ ويُبرِم أمراً ثم ينقضه نقضا
تهاوت أساطين الحياة بجسمه وأصبح فأر الموت يقرضه قرضا
سوى نَفَسٍ في خفت دقات قلبه وبقيا عظام تمسك الجلد مُرفضّا
يراوح مِن تهويمِهِ لأنينه ولولا المُهَدِّي لم يذق جفنه غمضا
ويحمل قلبا شَفّهُ خوف ربه فأصبح بين الخوف والضعف منفضّا
يعلمني أن الحياة حقيرةٌ على أن فيها مسحةً من ملاحة وعافية الجُهّال أغرتْ طموحهم
سنصدق لولا قسوةٌ في قلوبنا وأتفه منها من تُضَلِّلُهُ ومضا

وكم وعظتنا ذات يوم لغيرنا لدى العاشق المغرور إذ تُحسن العرضا
وقد جعلوا منها نواقلها فرضا
ونبصر إنْ نابُ الزمان لنا عضّا
وفي ذات يوم سوف تجعلنا وعظا

وأسلمت والدته الروح إلى بارئها في أواخر عام ١٤٠٦هـ /١٩٨٥م، فأخذ يرثيها في عدّة قصائد من المطوّلات، قصيدة تلو أخرى بعد تجاوز مرحلة الصدمة الأولى، وكان حريصا على العناية بهن، فكان حريصا على تبييض القصيدة أكثر من مرة، وحريصاً على اختيار عنوان لكل قصيدة، وحريصا على إتمامها، وحريصاً على بنائها ومعمارها، ثم حريصا على نشرها، فقد نُشرت قصيدته (زين المحسنات) في جريدة الرياض بتاريخ ١٤٠٦/١١/٢٧هـ، ومن أبياتها:

فراقُكِ من مكابدة الحياة وما للموت لُمْتُ ولا الأساة
فقدت ـ على وداعك ـ قلب أُمٍ هو الثدي الذي غذّى حياتي
ولا والله ما في الأرض قلب بديلٌ مثل قلبك في شكاتي
أيلتهم الترابُ أعزَّ شيء وأنفَسَ بَرَّةٍ في الأمهات
بلغت شفير عمرك مستكينا مع الطب الذي لك لا يواتي
صحبتك في حياتك وهي دوح ألوذ بظِلّه في الهاجرات
إلى اليوم الأخير وأنت أحنى وفيك صنوف كل المشكيات
وقد فارقتني كهلاً يتيماً أردِّد عنك أبكي الذكريات
هو الموت الذي لابد منه أبى فيك الفداء بشطر ذاتي
وكنتِ كريمةً فأبيت أدني مساومة وصرت إلى الوفاة
تعجّلتِ الفداء ونحن كنا ندافع فيك تصميم الفوات
وما جُهدي بحقّك إذ يساوي سوى حَجَرٍ تضاءل في فلاة
إلى بحبوحة الرحمن سيري بركب المؤمنات الصابرات
تحملت الترمُّل والمآسي وثكلكِ بالذكور وبالبنات
ولملمتِ اليتامى في جناحٍ مهيضٍ دافئٍ بالمرحمات
تساووا ستّةً وهم ضعافٌ بلا ريشٍ كأفراخ القطاة

ولم يهزمك ثقل الصبر لما صمدت وأنت وحدك في ثبات
من الإيمان كان عليك درعٌ حماك وما حماك من الأذاة
وما إنا نادبٌ فيجيش صدري بما تحويه من عز الصفات
ولكني سأكبح مهر شعري فما يوفيك عشر معلّقات
حزنت وما حزنت بأن تموتي لما بشرته من بشريات
رؤى لو علقت لعقود عُمْرٍ عبرت بها لَكُنَّ موشحات
تُريك محمداً بسّام ثغرٍ عليه لذكره أزكى الصلاة
ولكن الأخيرة أطمعتني بواعدة بكبرى الأمنيات
لقاؤك بالنبي بباب طوبى وفي يمناه مفتاح النجاة
فراقك يا عزيزة شب حزني ودمعي لم أُطقه إلى انفلات
وما غَرَبَ الرضا عني ونفسي بِرِقَّتها عصارة عاطفات
على أن ابتهالي من عزائي قبولك في رعيل الصالحات
وأن تتبدّلي بالكرب برداً وقبرك روضة في الناعمات
ولن أنسى الجميل طوال عمري لزين السابقات المحسنات
فحقك من دعائي مثل نفسي وحق لك الزيادة كالزكاة
وحاشا أن يُخِيّب حسنَ ظني غفورٌ شاكر للمخبتات
شفعتِ على السرير الداء خوفاً به تتململين من الهناة
ثقي يا أمُّ بالرحمن برّاً فرحمته وعاء الكائنات
عبرتِ الامتحان على المواسي عسى أن تفلحي في الفائزات

فترك فَقْدُ والدته في حياته جرحاً نازفاً لم يمهله طويلاً، فلحق بها بعد قرابة سنتين، لم يبق معافى فيها ـ كما يقول ابنه عصام ـ إلا أياماً معدودة، فقد كان كالطفل الذي فقد أمه، والمسافر في دار غربة بعيدة تركه صحبه بلا عودة، لقد تغير طعم الحياة بفقدها (١٦).

محور التأملات

أ) في حياته الخاصة:

(١٦) عصام السناني، من سيرة حياة الشاعر

وقد بدأت التأملات تتشكل في شعره بشكل أكبر في السنوات الأخيرة من عمره، وهو سن النضج والاكتمال العاطفي والعقلي، ورهافة الحس والشعور، فغالبا مايتأمل الشعراء في هذه المرحلة مايطرأ على أجسادهم، أو على مشاعرهم من تغيرات كظهور الشيب، أو ولادة الحفيد، أو التقاعد، ومن المواقف التي أثارت أشجان الشاعر السناني هو قراره بعد مشورة الطبيب خلع الضرس الذي أزعجته آلامه بسبب التقدم في السن، وهي تجربة شعورية تمرّ بالعديد من الناس، لكن الشاعر السناني وجدها فرصة للتأمل والتذكر والاعتبار، فيقول مستخدما أسلوب التشخيص، جاعلاً من الضرس صديقاً بشرياً عاقلاً، بل صديقاً من أعزّ الأصدقاء:

خسرتُك يا أعز الأصدقاء وكُنّا مجمعين على الصفاء
تخيّرك البلى فرحلت عني وآثرت النهاية في إخائي
وكان لي الخيار فكان جهدي بأن تبقى ولم يبخل وفائي
حشوتك مرة من بعد أخرى وبالإبريز ترفل في كسائي
شَنَنْتَ على لصوص السوس من العقار والطب الوقائي
حربا إذا هو قال خلعك من شفائي
أسارع للطبيب ولست أرضى .....
..... وليس المركز الصحي بنائي
وذات صبيحة وجهت وجهي بخلعك إذ لجأت إلى عدائي
وأعطيت الطبيب قرار نفسي لغالطتُ العزيمة في مضائي
ولو أني استطعت الصبر عاما ولي حقُّ الدفاع بلا مراء
ولكني وجدتك مستميتاً وعيني لا تكفُّ عن البكاء
فقلت به المصيبة لا بفكّي ولكن لا مفر من القضاء
لأنك كالصفيّ بلا بديل فقد طيّرتَ عقلي في الهباء
لقد سمّوك ضرس العقل حقا فإطلاق الشمول من الهراء
لم أجد الذي قالوه صدقاً فما أصبحت من أهل الدهاء
حباني الله أربعة بفكي ولم نوجد جميعا للبقاء
صحبتك من صباي وذاك عُمْرٌ فكن لبقيّتي كبش الفداء
وقلعك في الحقيقة موت بلا ذمٍ صُراح أو رثاء

بعضي
وفيتَ وخنتَ فاسمع صدق
شعري

وفي هذه القصيدة مسحةٌ من آثار الشعراء المهجريين، في تأملاتهم في الكون والنفس والحياة، ومن هذه التجارب الجديدة على الشاعر في سنوات العمر الأخيرة: تجربة التقاعد من العمل الحكومي، فالشاعر قد تقاعد بعد خدمة عملية بلغت قرابة أربعين عاماً، فقال:

ما كان صكاً عَنَى تسريح بل وردةٌ نَفْحُها إخلاؤها
مقتـــــرف طـــرفـــي
كـلا و لا هـــو عتقـــي في طويت فيها سنين العمـر في
مكـاتبـــــةٍ الكلــف
عانقتها كوســـام صـــرت وقد رجعت من الميدان
أحملـــــه بالشـــرف
ألقيتُ عن عاتقي أعبـــاء لأستجّم ويُعطى فرصـــة
واجبهـــــا خلـفـــي
في ساعة الصفر وافى في يـدي عانقـتُ فيه خيـاراً سـاميَ
أمـــــلاً الهـــدف
فيه أعز منـــال عشـــت ليلاي حريتـــي آلتْ إلى
أطلبـــه كنـــفـــي
اليوم أصبح سيف الـوقـت طوع لو كان في الغمد بيتي من
يدي التحـــف
إذا التجأت إليـــه خيـار غيرى فيزويني
لايـــنـــازعنـــــي بمنعطـــف
حتى ولو رضيته النفس بي فلن تهزّ به الـدنيـا من
كـســـلا الألـــــف
قد ذقتُ أول يومٍ لم يـكـــن إلا بكفـي مصلـوباً على
رســـنـــي كتـــــف
إجازةٌ نلتُـهـا ليســـتْ كالأبجدية بين اليـــاء

محـــــدَّدة والألـــــف
أستقبل اليوم كالعصـــفور نافورة الصبح ما قلبي
منتـظـــراً بمرتجـــــف
قضيتُ في واجبي عُمراً شرفـــتُ لـواجب لم يكن أدنى من
بـــه السلـــــف
سأســتقلُّ بأمـــري كـي وظيفة خارج الأعمال
أباشـــــره والحـــــرف

ب) في الحياة الاجتماعية العامة:

على الرغم مما عُرف به الشاعر من ميل إلى الحياة الاجتماعية الهادئة، فقد كان متفاعلا مع قضايا وهموم الناس وقضاياهم، ومعروفاً بغيرته الدينية والاجتماعية على مجتمعه المحلي والعربي والإسلامي، فتظهر حرقته وتألّمه لما يراه أو يقرأ عنه من أوضاع اجتماعية، أو أحداث ذات أبعاد ونتائج وخيمة.

وكانت الأماكن المقدسة في المملكة من أولى الاهتمامات لدى الشاعر السناني، فمع حادثة اقتحام الحرم المكي الشريف في اليوم الأول من شهر محرم عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، نظم الشاعر قصيدة اختار لها عنوان (حيرة المأساة) بعد انتهاء حادثة الاقتحام وتطهير الحرم من فلول المقتحمين، وعودة المصلين والطائفين في حادثة من أغرب الأحداث التي مرّت بها الأمة الإسلامية، فجاءت القصيدة بعد عودة الأمور إلى طبيعتها على أرض الحرم، وزوال آثار الصدمة والتأثّر من وجدان الشاعر، فقال:

أشقاقٌ في حريم الحرم وفِجارٌ في ليالِ حُرُمِ
لم أصدق نبأ في مسمعي بات أحنى منه مس الصمم
أمنامٌ ؟ وفضولي حائرٌ بين راوٍ - ذاك-أو مستعلم
يا لهولي كل شيءٍ ممكنٌ غير ما فجّر أعتى ألمي
كعبتي ساحتها مذعورةٌ ركنها يمسك بالملتزم
صحنها من زخم أفواج الهدى مُقفرٌ من طائف مستلم
من سلاحٍ دَبَّ فيها خلسةً كالأفاعي أو حشود الأرقم
أترع الأرض وما من قبله لم تعود غير سقيا زمزم

أسرتْها فتنةٌ مصروعةٌ لم تراود قط غير المجرم
قيدتْها نزوةٌ رعناء كم قد تحاماها عبيد الصنم
سمع الله صدى صرختها إذ أهابت رب بالمعتصم
صانها الرحمن من أبرهة ورعاها في سحيق القدم
لم تزل أرسخ حصنٍ للهدى منذ عادٍ وأوالي جُرْهم
ليت شعري ورشادي حائرٌ أي معنىً يجتليه قلمي
أهو الإيمان في مجلى الرؤى أهو المسلم غير المسلم
أم هو الوهم يقينٌ خادعٌ أم هي اليقظة ظل الحلم
يا فؤادي قبل قد صاحبتني في طريق غير مُنْسٍ مبهم
قل هي الفتنة في عميائها ذات داء مستبد حطم
رب قيد صاغه صانعه شد كفيه بكعب القدم
ومبيتٍ في فراش الرعن ماكر صُبحُهُ محض قضاء مبرم
ومسيرٍ في سبيلٍ معتمٍ قاد حتماً لمصيرٍ مظلم
ربِّ فاعصم من هواها أمتي واحمها أن تبتلى بالنعم
لست أخشى نكبةً توقظها مثلما أخشى انتكاس القيم
رب واغسل بينابيع السنا مهجات ضرجوها بالدم
وتعاهد بقلوبٍ برَّةٍ كل ثكلى فجعت أو أيّم
وابعث النخوات في ساح الحمى لضعافٍ وصغارٍ يُتّم

وبالقدر ذاته من الألم والحُرقة يعبر الشاعر السناني عن مشاعره تجاه الأحداث والمسيرات والهتافات التي أثارها بعض الحجاج الإيرانيين في أيام الحج من عام ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م، حول الحرم الآمن والكعبة المشرفة التي أصابها الروع من جراء ماحدث حولها، فخاطبها الشاعر مهدئاً من روعها قائلا:

راعوك في خدرك الطـهور يا كعبة النور للـــدهور
وموكب الحج فـي هـــدير يُهلّ للواحد القـــــدير
مجـــــرة أحـــرمت تلبي تمور في كـــونك الأثير
من كل لون وكل شكـــل في وحدة الدين والضمير
لكن سرباً من الأفاعـــي جحورها مظلم الصـدور

تسربت والحمى ســـــلام بنية الغدر والفـــــجور
....
يا كعبة الحق لا تُراعـــــي بزاعم الحج للظـــــهور
فأنت شمسٌ وهـــم فراشٌ على لهيب إلى ثبـــــور
كم قرمطي ومنجنيـــــــق طاروا هباءً ولم تطـــيري
فلتذكري يوم فـــــأس طه يجتثُّ جرثومة الكـــفور
وقد أحـــــــالوك دارِ زونٍ (١٧) مجسمات من الصـــخور
أحفاد أصحابه الصـــقور
والآن أنصـــــاره الغيارى من كل مستأسد غيـــــور
هبُّوا كمـــــا هبَّ أهل بدر عطراً على الأبطح الشهير
فليلثم المجدُ ما أراقـــــوا قذفاً إلى جاحم القبـــــور
وليجرف النتن من تعـــدّوا من عاهل أو فتى صغيـــر
نحن هنا والخليل فينـــــا نفديه مـــــــن آثمٍ وزور
حُرّاس مَنْ بيتُهُ حمـــــانا شهادة المؤمن الجـــــدير
والموت والنصر في لوانا

وفي محيط الشاعر الاجتماعي التقطت عينه صوراً مخالفة للفطرة السليمة والتوسط والاعتدال، بعد تغيّر المفاهيم لدى فئة الناشئة تحت غطاء التجديد والتحديث، ففي قصيدته (مراضع العلب) ـ وبأسلوب ساخر ـ يُشخّص مكمن المشكلة عند أبناء الجيل الجديد في انفصامهم عن الفطرة بانفصالهم عن الارتباط بالأم، حين انشغلت الأم عن وليدها، بسبب ظروف الحياة الاجتماعية الجديدة، فانعكس ذلك على تصرفات الأبناء فقال:

شحّت ثِدِيُّ (١٨) نســـاء الحي عن ولـد فاستبدل الناس من ألبانها العلبا
فاستبقر النسل، إن العرق ذو أثـــر ومثله اللـــبن المرضوع كم جـذبا

(١٧) الزون: مكان تجميع التماثيل والأصنام

(١٨) ثِدِيّ: جمع ثَدْي.

فكم رأينا مَنْ الجـــــاموس خالته أو خاله الثور فاسترعى بنا
يلقاك غير مبال لـــــوى بجبهته العجبا
لقد تهجنت الــدنيا بعـامـــرها قرنان شد على جنبيك فاختضبـا
وخالفت عادة الأشيـــاء فطرتـــها فكل ماشئت عن مألــوفه انقلبـا
قالوا التطور والتجديد قلت لهـــم ولا أُميّز عنها الشـــعر والأدبا
لقد ألفنـا مع الأيـــام رحلتـــنا كما تشاؤون لا عجمـا ولا عــربـا
فلن نُسرُّ ولن نأسى بـــــما كتبا(١٩)

كما انعكس على تصرفات بعض الراشدين، وتبدّل مفاهيمهم، وطيش أفكارهم، خاصة حين يخرج عن وطنه سائحاً، وينطلق في أرجاء المعمورة، فيأتي من الأعمال الهوجاء مايثير الاستهجان عند العقلاء وذوي الرأي والحكمة، ففي قصيدة (في شوارع لندن) تلتقط عدسة الشاعر السناني صورة سائح عربي، قَدِم إلى لندن للسياحة والاستجمام في الظاهر، ولتبديد الثروة والمال تحت ذرائع مختلفة، في حين كانت بلدُه وموطنه أولى بها فقال:

لو شَدَّني عجبٌ لأعجبني الذي نَثَرَ الدراهم في شوارع لندنا
ما بين قوم لم يروها سُبَّةً أن ينحنوا كالانحناء على الجنى
لم يحضروا للشرق لو لم يركعوا للمال وابتكروا المهازل عندنا
شعبٌ يرون من السذاجة فعلةً من ذا الذي يطأ النقود وما انحنى
ما ضرَّهم أن زغردوا أو صفّقوا ودعوا لحاتِمِهِ المبجل بالمنى
أدلى بفلسفةٍ ترود خياله وكأنما حسب الرقيَّ بما عنى
من أركعونا دورهم أن يركعوا يا سيدي ليس التكافؤ من هنا
أنسيتَ أنك في ربوع بلادهم كنزٌ يوزع في مصارفها الغنى
تسعى برجلك سائحًا متعشّقًا فتبادل الغرض الرخيص بأثمنا

(١٩) كتب الشاعر رحمه الله تحت هذا الشطر: حتى رأينا جمادى تارةً رجبا.

هم ينتجون و أنت سوق نتاجهم ... هم يعرضون وأنت تشري
مهما امتعضت ففي فؤادك عقدة ... مذعنا
يا حاتماً لو كان ما ألقيتَه ... جعلتك تحقر لو زعمت الموطنا
و أخذت عن عدوى القبيح ... في مصنعٍ أو صرح علمٍ يُبتَنى
حصانةً ... ونقلت عنهم في الحياة الأحسنا
عظمت بلادك في عيون دهائهم ... فرأوك أقرب ما تكون تمدُّنا
ميزان عقلك ما تقوم ببذله ... فاقصد تكن ذاك المهين الأرزنا
ما كان أرسلك الإله إليهم ... من دون قومك كي تكون المحسنا
إياك في سفهائهم أن تقتدي ... فلجدهم كانوا برغمك أفطنا
فخناهُمُ حريةٌ وحضارة ... لكنها بالأجنبي من الخنا
لو أنت تحمل بينهم جنسية ... صحبوك رغم الانتماء ملونا
لا تحسبنْ أدب المصالح فيهم ... من أجل شخصك بل لدغدغة الغنى

محور الرثائيات

شهد الشاعر السناني في حياته وفاة عددٌ من المقربين والأصدقاء، ومع هذا فلم يرث إلا القليل منهم، فمن هؤلاء: والدته (ت١٤٠٦هـ) ـ كما سبق ـ والملك فيصل (ت١٣٩٥هـ)، وأستاذه صالح بن صالح النعيم (ت١٤٠٠هـ)، والشيخ سليمان (ت ١٤٠٦هـ)، وذلك لأنه جعل الدافع للرثاء هو الدافع الشعوري الفني، وليس الدافع الاجتماعي، أي أنه لايستجيب إلا لما تُمليه عليه عاطفته وانفعاله وليس تسديدا لواجب اجتماعي وحسب.

فلهذا جاءت رثائياته نتيجة استجابة لتجربة شعورية مؤثّرة، ولم يكن في سباق مع الزمن للمسارعة للتعبير، بل ترك التجربة لتأخذ مداها لتتشكّل في وجدانه، ثم ترك للقصيدة أن تكتبه متى ما حان الوقت، ودون أن يقف في وجهها، فموقف الرثاء عادة ما يحتاج فيه المكلوم إلى أن يخفف من وقع المصيبة بالحديث والتعبير، ليُخفّف من ضغط المصيبة، فبلغت رثائيته في الملك فيصل ٨٣ بيتا، وفي رثائيته في وفاة أستاذه ابن

صالح ٣٦ بيتا، وفي رثائيته في الشيخ سليمان النعيم ٤١ بيتا، كما بلغ مجموع الأبيات التي رثى فيها والدته: في قصيدة زين المحسنات: ٣٥بيتا، وفي قصيدة على قبر سيدتي: ٥٨ بيتا، وفي قصيدة وداعا ياأعزّ حبيبة: ١٨ بيتا.

ورأيتُ أن أقف مع قصيدته في رثاء الشيخ سليمان النعيم لأنه من عامة الناس، وليس من أيّ اعتبار لرثائه إلا صادقُ الحزن والشعور، والاعتذار عن الغفلة عن القيام بواجب التكريم والاحتفاء به في حياته، فقال في الجزء الأخير من القصيدة:

و لقد أَلِفْتُ المـــوتَ في أمثاله ... وفقدتُهم واعـتدتُ أن أتـــذكّرا
أحببتهم منذ الطفولة والصبا ... ولدى الكهولة صار وجدي أكبرا
فَقْدُ الرجال الصالحين خســـارة ... فهم المعالم في الطريق لمن سرى
وحياتهم للمقتدين سكينةٌ ... فإذا مضوا وجم المكان وأقفرا
تتضاعف الحسـرات فيمن ركبه ... عن شأو ركبهم المُجَلِّـــــي قصَّـــرا
غالبتُ دمعي والفـراق مرارة ... ناجيت فيه الله يغفر ذنـــبه
لا لوم للمحزون أن عزّيت كلا بالعزاء لآلـــه ... يســـــتعبرا
إني لأرجو أن يكون لما وقفت بقبره مستمطرا فقيـــــدكم ... أكرم بمن قبل المصـــــاب إذا
وســـألته حسن الخلافة عرا فيـــكم ... فيمن تغمده الكريم وطـــهرا
والموت في هـــذي الحياة بداية ... فتُحقِّقون له الرجاء وأكثرا
نأسى على الموتى ونحن ونهاية لبداية ما أقصـرا وراءهم ... نطوي على جســـر الحياة
نسهو ونلهو بالحطام تهافـتا ... المعبـرا
لو زار زائـرنا المقابر واعيا ومتى استهام القلب لن جثثٌ تمور ثـــيابها ... يتبصـــرا
أكفانـــــها ... لأعاد تقيـــــيم الأمـــور
تنســاق للأمل الخـدوع كأنما ... وقدرا
تطوى عقـود العـمر نحو نهاية فوق التراب وأختها تحت

لا فرق في شيخوخة وشبيبة الثـــــــــرى
ويزيدنا طمـــع النفوس نكايةً أخذت بتمديد الإقامة
مرضٌ تكاليف الحياة فلا أرى محضـــــــــــرا
فالعابدون على حلاوة فَيَوَدُّ مُضْنَي السّير لومـــا عُمِّرا
صـــــبرهم من قال إن الشيخ أوهى
مَنَّيْتُ نفسي أن تكون بشارةً مكســـــــرا
يا رب ضيفك في حميك وافدٌ فينا فنطلب عنده المتعذّرا
هذي محاسنُ راحـــلٍ إلا الزهادة للنقاهة أيسرا
مُتَـــــــبتِّل كانوا بمفهوم الســـــــــعادة
إن كنت في قيد الحياة أجدرا
بخســـــته رؤيا الذي عاد الفقيد
دينٌ على الفيحاء مت مبشـــــــــــرا
بعـــــــبئه فاجعل قِرَاهُ لديك عيـــــشاً
وقصدتُ واســـــترجعتُ إني أنضـــرا
عائذ أمر الحديث بحـــــــــقه أن تذكرا
فلعل ذكري أن يصير مُكَفِّرا
فبدمعهم أبَّنْتُ نجماً غـــــــــوَّرا
بالله من لغو الكلام محـــــــــورا

محور الإخوانيات

تمّتع الشاعر السناني بعلاقات طيبة ومتعددة مع زملاء وأصدقاء ومعارف، وحين يكون من هؤلاء شعراء فإن وسيلة التواصل المفضّلة بينهم هي الشعر، لأنه من أرقى وسائل التواصل، ولما فيه من خصوصية تعبيرية ورمزية، ترتفع به عن لغة التعبير المباشر، فيتنافس الشاعران في التقاط أجمل العبارات، وأرقى الأفكار، وأنسب الأوزان والقوافي، لمعرفة كل منهما بمكانة المتلقّي وخصوصيته، فينتج عن هذا التنافس

قصيدتان أو أكثر توافرت فيهما عناصر الجمال والاكتمال الأدبي، وإن اعترى مضامينها المجاملات والمبالغات أحياناً.

وكان من أكثر إخوانياته تميّزا وإبداعاً: قصائده المتبادلة مع الشاعر صالح أحمد العثيمين (١٣٦٠- ١٤٣٣هـ)، فتطارحا - من خلال الشعر - الكثير من الهموم والرؤى الاجتماعية والأدبية، مما يجعل القصيدة تمتدّ إلى ٧٠ و ٨٠ بيتاً، ففي ردّه على قصيدة للشاعر العثيمين تحت عنوان (تساؤل) قدّم لها بقوله: كتب الشاعر صالح أحمد العثيمين قصيدة عنوانها (تساؤل) قدّم لها بقوله: (إلى الذي علّمنا أن الحياة كلمة دافئة، وجدول صفاء، ونقطة ضوء تتحرك في أعماق الحرف، إلى الشاعر الأستاذ عبدالله الحمد السناني، فجاءت القصيدة الجوابية من الشاعر عبدالله السناني في ٧٠ بيتا، قال في مقطعها الأخير:

وعدت والأطلسي الطهر يلفظني ... كأنني قشّةٌ في جوفها الوضر
ما ذا أُغنّي على الشطآن واخجلي ... حيث الضفادع لا حِسٌّ ولا خبر
استغفر (الشعر) أن تُحشى حقيبته ... بالمُزريات وقلب (الشعر) منفطر
أأدَّعي حب ليلى في مخادنه ... شعارها الزانيان المال والعهر
وبائع اللحم بالإنسان قايضني ... لحماً يضجّ عليه النتن والقذر
بضاعة متجر الآثام يعرضها ... وشرّها أنها للسوق تحتكر
بذلك الروح ضاع الروح في بشرٍ ... طباعهم أوهمتني أننا بشر
أغفيتُ كالمتنبي علّ شاردةً ... لما صحوتُ إذا بي الشارد الحصر
بلق الأصائل والأسمارِ تنكرني ... وخانني من يراعي نبعه الخصر
متى تعود إلى الأعطان قافلتي ... الخصر
تجارة (الأدب) المعطار كاسدةٌ ... ويحسب الربح والخسران مُتّجِر
أين المضارب والأحياء تبعثنا ... في السوق والأدب المسلوق يزدهر
دارت بها الأرض سكرى في حضارتها
ومن رأى الناس بالآداب مُلحدةً

يا ساقياً ثورة الإيمان ريشته ... أين العمائم والأنشاد والبُدُر
طرّزْتني بوسامٍ أنت حامله ... وقد مُسِخْنا فلا عُرب ولا غجر
فكل شئٍ من الأشياء يجمعنا ... أليس يكفر بالجيل الأُلى كفروا
حرّكت فيّ شجوناً ريحها سكنت ... إني على نفثها في الطرس منحسر
أيقظت بي غفوة البركان فانتبهت ... وإنني بنصيبي منك أفتخر
كان في كل بيتٍ منك جارحةٌ ... وشدّ ما بيننا الحرمان والوطر
لا تتركنْ سارياً والليل معتكر ... مثل البحيرة لا مدٌّ ولا جزر
إذا قرنت إلى مسراك قافلتي ... والصعب في حالتيه حين ينفجر
جافِ الشواغل إلا ما طمحت له ... في كفّها من مفاتيح الشجا شرر
هذا هوى من يكاد الصمتُ يُخرسهُ ... في وحدة الدرب لا برقٌ ولا قمر
هناك كل صعاب الدرب تندحر
فساعة القلب في الدنيا هي الثمر
وتحت حيزومه التعبير ينتحر

وله عددٌ من الإخوانيات مع شعراء آخرين ذكروا لي أنهم تبادلوها مع الشاعر في فترات مختلفة، كالشاعر عبدالرحمن المنير، والشاعر حسين الفايز، والشاعر محمد إبراهيم السلمان، لم أعثر عليها ضمن مجموعته المخطوطة، ويبدو أنها ليست بحوزة الشاعر.

ومن شعر الإخوانيات: قصائد تحمل عتاب الشاعر السناني إلى صديق أو زميل، وهي بقدر ماتحمل من المرارة والحسرة، فهي تحمل في ثناياها صدق الشعور وحرارة الانفعال والتلقائية والعفوية، وهي لاتخرج عن إطار الشعر الإخواني، بل تحمل العتاب الرقيق وربما

المرير أحيانا رغبة من الشاعر في بقاء حبل التواصل ممدودا، كما أنها لم تصل إلى منطقة الشعر الهجائي، فلم يصرّح باسم المُعاتَب، ولم يُشنّع بالمخاطب، أو ينتهك خصوصياته، ولم يُصرّح بمكمن الخلاف بينهما، على رجاء أن تعود المياه بينهما إلى مجاريها، فقد ذكر ابن الشاعر (أن والده أراد من شخص معروف حقاً مالياً وكان بضائقة شديدة فتطاول عليه وواجهه بكلام سوقي قذر كما قاله لي الوالد رحمه الله بنصه، وقد قالت لي الوالدة حفظها الله عن أيامه تلك مع هذا الرجل أنه كان لا ينام الليل وإذا نام فإنه يزفر في نومه بحرقه. ولمّا أراد الوالد أن يشتكيه وابتدأ في ذلك لمته رحمه الله لمّا زارنا في الرياض في أيام زواجي: بأنك قد صبرت في شبابك وأحلك أيامك على أمرّ من ذلك صيانة لنفسك، والآن في آخر عمرك تنزل نفسك منزلة هؤلاء الرعاع، وأظنه قال في ذلك:

أنا وردة عزلاء تنفح * بالعبير لمن عـــــبر
أنا نحلة في شهدها * الممنوح قد رمت الأبر
أنا هكذا لكنـــني * في ذاك مـــوفور الخطر
فكرامتي مثل الحمى * ما مسه غير المـــــطر
يا ظالمي ليس الحطا * م كرامةً ياذا الأشـــــر
لكرامتي لا أطاولك * الخصـومة ياغُـــــدَر
أنا لا أجيد كما تجيد * ولن أنازعك القـــذر
سأغض طرفي زاهداً * لأزيح عن نفسي الكدر
وإذا خسرت فمكسبي * شـرفي وأجـر يدّخر
راوغ فإنـــــك ثعلـــب * وافخـر فأنت المنتصر
ولسوف يحكـم بيننـــــا * قـــاض له عـدل القدر

ومن إخوانياته العتابية قصيدة: وداعاً أيها الصديق، وقصيدة تجاهلتني، ومن أبياتها:

تجـــاهلتني حيناً وخيّبت أملي فقد جاء دوري فاحترق
رأيت احتياجي فاستهنت بتجاهلـــي

بحرمتي كأن سماحي ثغرةٌ من
وهاأنا بعد الضير ما عـــدت مقاتلـــي
آبهاً ستهدأ أعصـــابي ولست بسائـــل
سأجزيك أيامـــاً شقيت بمثلها سُلُوَّاً بســـــلوانٍ بميزانِ عـــادل
ستعلم أن المـــاء في الصيف ولكنه في الـــــبرد عبء
حاجة لنـــاقل
وقد برد الجـــو الذي فيه فمـــا أنا ظمآن لماء
عيشنا التحـــــامل
ومالِيَ في جعـــل الخصام إلى ردّ ما تأتي به
ذريعةً بالممـــــــاثل
وقد مَرّ عُمْـــرٌ واحتسبتُ فلـم أستفد فيه جميل التـــعامل
ضياعه جنيت ورودي دون وخز
ومـــا كنتُ إلا ليّناً لـــو الأنامـــل
عرفتني لتنشـــر مطويّاً على غير
ولكـــن ثناك الطبع وانقدت طائـــل
للهوى بوقـــتٍ يثوب الرشد فيه لجاهـــل
وما حَسَـنٌ أن تركب النفسُ وتبخـــل بالإنصاف أو
غيّها بالتغافـــل
أعيذك من نفـــسٍ تنادي بحقها لأصبح منا واحـــدٌ غير
فلو حكـــم الإنصاف بالعدل بيننا قابـــل
لذلك كانت كأسنا تحمـــل القذى ولو مُلئتْ من ماء كـــل المناهـــل

في اللغة والأسلوب

الحقل اللغوي:

يتشكّل معجم كل أديب من العامل الذاتي: ذوقه ومزاجه وبصمته، أكثر من تشكّله من العوامل الخارجية كقراءاته وثقافته وبيئته، فالأديب الموهوب حين يصل إلى مرحلة النضج يكون قد شكّل له معجما وحقلا لغويا خاصا يشترك فيه مع غيره، ثم حين يصل إلى مرحلة الأصالة

والتميّز يكون قد شكّل له معجما لغوياً لايشترك فيه مع غيره، أي تصبح لديه لغة يمكن ـ باطمئنان ـ أن تُسمى باسمه، كاللغة البحترية، واللغة النزارية، واللغة المعرية، واللغة الجُبرانية وهكذا..

وهذا التشكّل عملية كيميائية معقّدة، ليس من السهل ردُّها إلى عوامل محدّدة كالبيئة أو القراءات أو الثقافة، فهذا التحديد فيه صعوبة واعتساف وافتراضات أحياناً، ولكن مايمكن أن يُحاط به هو رصد الظواهر اللغوية وتتبّعها واكتشافها.

فالشاعر السناني استحوذ منذ بداياته حقلا لغوياً، اشترك ـ في نواحٍ منه ـ مع شعراء، واختلف في نواحٍ منه مع آخرين، وكان حقله اللغوي حقلا متميزاً منذ بدايته الشعرية قبل عام ١٣٨٠هـ (في كتاب شعراء نجد المعاصرون: عبد الله بن إدريس)، إلى قصائده في الفترة الأخيرة من حياته، فلم ألحظ تحوّلاً وتبايناً كبيراً في لغته في طور البدايات، ولغته في الطور الأخير من حياته، مما يعني أن حقله اللغوي أسس بنيانه على أساسٍ من الموهبة والاستعداد.

فمعجم السناني معجم أديب يكشف عن ثقافته واحترافه الأدبي، فهو أسلوب شاعر بدأ شاعرا وانتهى شاعرا، فلم تظهر في أسلوبه آثار وبصمات الفقهاء أو المؤرخين أو الوعّاظ (٢٠).

المزاج اللغوي:

تكشف مسودات الشاعر ـ أي شاعر ـ عن ذوقه واتجاهاته النفسية والذوقية في الاختيار، وتكشف عن مدى ثراء معجمه اللغوي.. وقد قدّمت لي بعض مسودات قصائد الشاعر صورة عن تشكّل القصيدة بين يدي الشاعر السناني حتى تخرج في صورتها الأخيرة، وهذا ينطبق على القصائد التي لها صورتان: صورة أولى وصورة نهائية، [كما في النماذج المرفقة]، ففي الجداول التالية كتبتُ البيت الواحد في صورتيه: الأولى كما في المسوّدة، والثانية كما في الكتابة النهائية، ليرى القارئ التغيرات التي طرأت على بعض عبارات البيت، ثم محاولة تفسير ذلك:

(٢٠) مصطفى السحرتي، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٦٨

قصيدة: وداعاً يا أعزّ حبيبة

	الصورة الأولى	الصورة النهائية		
١	وغرفة ناديك المضيئة أظلمت وكانت كربعٍ بعد مؤنسه أقوى	وغرفة ناديك المضيئة أعتمت وآلت كربعٍ بعد مؤنسه أقوى	أظلمت وكانت	أعتمت وآلت
٢	أتيتُ إلى الدنيا وأنت مقيمةٌ فكنتِ ظلالا ضمّد اليتم والشكوى	قدمتُ إلى الدنيا وأنت مضيفتي فكنتِ جناحاً ضمّد اليتم والشكوى	أتيتُ / مقيمة ظلالا	قدمتُ/مُضيفتي جناحاً
٣	سأبقى على عهد الوفاء لبرّةٍ إلى أن يوافيني الذي بك قد ألوى	سأبقى على عهد الوفاء لبرّتي إلى أن يوافيني الذي بك قد ألوى	لبرّةٍ -	لبرّتي -
٤	ولولا التزامي في بقائي داعياً لما ساءني في جنب تربتك المثوى	ولولا اضطلاعي في بقائي داعيا لما ساءني في جنب تربتك المثوى	التزامي -	اضطلاعي -
٥	على روضك المعطار مني دمعةٌ فما كان مصفرّاً غثاءً ولا أحوى	على روضك المعطار مني دمعةٌ فما كان مهجوراً غثاءً ولا أحوى	- مُصفراً	- مهجورا
٦	فقد عشتِ ساعات الحياة طويلة تقضينها بين المناجاة والتقوى	لقد عشتِ ساعات الحياة ثقيلةً تقضّينها بين المعاناة والتقوى	طويلة المناجاة	ثقيلة المعاناة

قصيدة: زين المحسنات

	الصورة الأولى	الصورة النهائية		
٧	فقدتُ على وداعك قلب أم هو الرحم الذي غذّى حياتي	فقدتُ على وداعكِ قلب أمٍ هو الثدي الذي آخي حياتي	- الرحم/غذى	- الثدي/ آخى
٨	صحبتك في حياتك وهي دوحٌ ألوذ بظلّه في العاصفات	صحبتك في حياتك وهي دوحٌ ألوذ بظلّه في الهاجرات	- العاصفات	- الهاجرات
٩	هو الموت الذي لابدّ منه أبى فيك الفداء ببعض ذاتي	هو الموت الذي لابدّ منه أبى فيك الفداء بشطر ذاتي	- ببعض	- بشطر
١٠	وقدّمتُ الفداء ونحن كنّا ندافع فيك تصميم الممات	تعجلتُ الفداء ونحن كنّا ندافع فيك تصميم الفوات	وقدمتُ الممات	تعجّلتُ الفوات
١١	إلى مستودع الرحمات سيري بركب المؤمنات الصابرات	إلى بحبوحة الرحمن سيري بركب المؤمنات الصابرات	مستودع الرحمات	بحبوحة الرحمن
١٢	ولكني سأكبح مهر شعري فما يجزيك عشر معلقات	ولكني سأكبح مهر شعري فما يوفيك عشر معلقات	- يجزيك	- يوفيك
١٣	ولستُ بنادبٍ فيجيش صدري بما تحوين من عزّ الصفات	وما أنا نادبٌ فيجيش صدري بما تحوين من عزّ الصفات	ولستُ بنادبٍ	وما أنا ندبٌ

قصيدة: آخر دمعة

	الصورة الأولى	الصورة النهائية		
١٤	نصارع فوق الأرض أمر معاشنا وللبحر عيشٌ طبعه الجزر والمدّ	نصارع فوق الأرض أمر حياتنا وللبحر عيشٌ طبعه الجزر والمدّ	معاشنا -	حياتنا -
١٥	وما قصر الأعمار إلا تحولٌ لأخرى لتبقى الأرض والعمر ممتدّ	وما قصر الأعمار إلا تحولٌ لأخرى لتحيا الأرض والعمر ممتدّ	- لتبقى	- لتحيا
١٦	فلم أر إلا حكمة الزهد حيلةً ليخلص من أتعاب أطماعه عبدُ	فلم أر إلا حكمة الزهد حيلةً ليخلص من أوجاع أطماعه عبدُ	- أتعاب	- أوجاع

فإذا تأمّلنا في الكلمات المعتمدة في النسخة النهائية، وقارنّاها بالكلمات المقترحة نلحظ أن الشاعر قد رصد أكثر من كلمتين أو ثلاث، ولكل واحدة دلالاتها وإيحاءاتها، ثم يعتمد واحدة منهن لتكون هي اللفظة النهائية، فإن اختياره لها واستبعاد الأخريات يكشف عن ذوق الشاعر ومزاجه، والمعنى الذي يهدف إليه، والصورة والشعور التي يريد التعبير عنه.

فليس من اختلاف بين الكلمات المقترحة والكلمات المعتمدة إلا الرغبة في زيادة دلالات المعاني وأبعادها، ففي البيت رقم ١: اختار الشاعر كلمة أعتمت، وترك كلمة أظلمت، لأن العتمة هي الثلث الأول من الليل بعد غياب الشفق (٢١)، فحين يحل وقت العتمة فهو إيذان باستقبال ليل طويل، أما أظلمت: فقد يحل الظلام لوقت قصير ثم يزول، ، كما اختار كلمة وآلت، وترك كلمة وكانت، لأن كلمة كان تدل على الماضي، فاحتراساً من فهم القارئ بأن الأمر قد حصل في وقت مضى وانتهى، اختار الشاعر كلمة وآلت أي تحوّلت ولازالت.

وفي البيت رقم ٢ اختار كلمة قدمتُ وترك كلمة أتيت، لأن القدوم يكون بعد غياب وانتظار طويل كقدوم المسافر، أما الإتيان فهو يشمل كل قادم من بعد انتظار طويل أو انتظار قصير، وكذلك استخدم كلمة

(٢١) مختار الصحاح للرازي

مُضيفتي، بدلا من كلمة مقيمة، ليزيد على حُسن الاستقبال كرم الضيافة، كما استخدم كلمة جناحاً بدلا من ظِلالا، لأن فيه زيادة في المعنى فالجناح ـ إضافة على أنه يقي من أشعة الشمس ـ يزيد على الظلال بأنه يقي من برد الشتاء، ومايمنحه من حماية وطمأنينة لمن يلوذ به، إضافة إلى الاستفادة مما منحه القرآن للجناح من دلالات في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة..)، وفي البيت رقم ٦ اختار الشاعر كلمة ثقيلة بدلا من كلمة طويلة لأن طول الحياة قد يصحبه نعيم فلابأس فيه، لكنها تكون أشقى وأنكى إحساساً بوطأتها حين تكون الحياة ثقيلة بسب الفقر والمرض، كما استخدم الشاعر كلمة المعاناة بدلاً من كلمة المناجاة لتصوير وطأة ماكانت تعانيه والدته من معاناة الحياة، ومعاناة الترمّل، ومعاناة المرض، وهي أعمق تجسيداً من كلمة المناجاة، وفي البيت الـ ٩ اختار الشاعر كلمة شطر، بدلا من كلمة بعض، لأن شطر الشيء نصفه، أما بعضه فمعناه: الجزء من الشيء الذي ربما يكون ضئيلا جدا، وهو يريد التعبير عن استعداده لتقديم أقصى مايملك فداء لموت والدته، وفي البيت الـ ١٠ اختار الشاعر عبارة تعجّلت الفداء بدلا من كلمة وقدّمت الفداء، ليصوّر موقف الحزن والذهول الذي حلّ به مما دفعه لأن يتعجّل ـ دون تفكير ـ في تقديم الفداء لوالدته الراحلة، أما عبارة قدّمتُ فلا تجسّد الصورة نفسها من حيث المبادرة والمسارعة، وفي البيت الـ ١٥ اختار كلمة لتحيا، بدلا من كلمة لتبقى، لما في معنى الحياة من دلالات على الاستمرار والامتداد بين الأجيال مع نمو وحركة، أما كلمة تبقى فلا توحي بذلك، فقد يبقى الشيء قائما ولكن دون حياة.

وهكذا فقد كان الشاعر السناني حريصاً على دقة اختيار العبارات ودلالاتها، ويمتلك رصيدا ثريا من المفردات، التي يراها مهمة للشاعر لأن لغة الشعر غاية ترمي إلى إحداث التأثير في وجدان المتلقي، الذي لن يتحقق إلا باختيار اللفظة المعبرة الموحية.

الهمس في شعر السناني:

لم يعد الشعر الحديث يُلقى على المنابر وفي الأسواق، أو في بلاطات السلاطين على لسان الشاعر وبصوته، أي لم تعد الأُذُن هي وسيلة التلقّي، بل أصبح الشعر يُقرأ من الصحف أو من الدواوين

المطبوعة عبر القراءة البصرية، مع قدر من التأمّل والتذوق العقلي، فاللهجة الخطابية لم تعد مناسبة للعصر، فتحولت اللهجة عموماً في الشعر إلى اللغة والألفاظ الهامسة، التي تخاطب الوجدان، ولا تخاطب الآذان.

والهمس ليس ظاهرة صوتية ولغوية وحسب، بل هو (ظاهرة لغوية صوتية وقيمة أدبية فنية، يتوسلها الأديب لتوصيل أفكاره إلى المتلقي، كما يتوسلها لنقل أحاسيسه ومشاعره إليه مصوَّرة تصويرا فنياً هادئاً، بعيدا كل البعد عن كل ما من شأنه الظهور بمظهر الخطابة..... إنه حديث القلب إلى القلب، وبوح الضمير إلى الضمير)[٢٢]، ويتجلّى الهمس لدى الشاعر السناني في قصائده التي تحمل المعاني العميقة التأملية، ونزوع الشاعر السناني نحو التفكير والتأمل ظاهرة بوضوح في شعره، وعمق التفكير والتأمل والتحليل يتناسب مع اللغة الهامسة الهادئة، وبعكسه فاللغة المنبرية الصاخبة هي سمة المعاني السطحية.

فالهمس يتجلّى عند الشاعر ـ من الناحية الأسلوبية ـ حين تقلّ النداءات وحروف النداء، ويقلّ الخطاب بضمير الجمع، وتقلّ المبالغات، ويقلّ التكرار اللفظي، وتقلّ الأساليب الشرطية لأن فيها معنى الجزم والقطع، وهذه المظاهر تبرز في عدد قليل من قصائد الشاعر ذات الطابع المنبري الخطابي، أما أغلب قصائده فتقلّ فيها هذه المظاهر، وتميل إلى الأسلوب الهامس، من مثل قصيدته (رب الكون):

يقول المرء هل للكون ربٌّ ... وهل كونٌ يكون بغير رب
وأيّةُ صدفة جاءت بخلقٍ ... عجيب دون تدبير ولب
أراهم للظواهر أَلَّهُوْهاَ ... وأعينُهُمْ رأت من غير قلب
وما شرط المهيمن أن نراه ... ولكن في بصائرنا نلبي
وهذا الكون يدعونا إليه ... فتعرفه العقول بغير حجب
هي الأسباب سبَّبَها إلهٌ ... بقانونٍ و إيجابٍ و سلب
وما حجج الظواهر خافيات ... ولا خبر الخوارق أمر كذب
وما المعقول والملموس إلا ... سطور للبيان بغير كتب
وفي الكشف الجديد العلم ... مفاتيحاً تفسِّر كل صعب

(٢٢) عبدالرحمن الهليل، الهمس في الشعر الحديث ص ١٦

أعطى وحتى ما نُركِّبُ أو نُرَبّي
فآياتٌ تكشف كل يوم و أجرام بتكويرٍ وجذب
وخلق المرء آيات كبار كشوفاً كالضياء برأس درب
وما أهدى لنا الرواد إلا بمضيعةٍ و فلسفةٍ و ريب
ولكن العقول لها شرود إذا بلغ الرصانة عاد يصبي
هو الإنسان مهما قيل عنه

ومن مثل قصيدة (لهونا):

لَهَوْنا وما تلهو الحياة بشأنها وتاهت خطانا في هوانا المعبد
نسير على ظهر الرياح فحيثما تولّت تولّينا إلى سدفة الغد
ونختار و الأقدار يومض ونختار لكن لا ضمان لمقصد
ضوؤها تورطهم في لغز أمر معقد
وأكثر آفات الورى من عقولهم ومن ذاتنا أحبولة المتصيد
تروضه كبرى القوى لاحتوائنا فنجذب عن عمد وغير تعمد
نهيم بأفلاك الجواذب سذجا ولَمّا نُناهز في سبيل التمجد
وعدنا صغارا بعد تاريخ نضجنا فعدنا كما كُنّا ولم نتجدد
ولم تصقل الأديان سوء طباعنا ولكن بقينا في إسار التعقّد
وماعَصَمَتْنا في صراعٍ عقيدةٌ خيالا ولم نحكم أساس التوحد
ومازال حادينا يشيد بوحدة سويٍّ لقلنا ربما للتعدد
ولو أننا قمنا فرادى بمنهج لذاك فما جدوى مريض ومقعد
وَهَتْ لبناتُ القصر قبل بنائه تخط مواعيدا بغير تقيد
عواصم تخفي العجز تحت فلم تظفر الأحلام إلا بموعد
شعارها سوى خيبة الآمال للمتجلّد
لقد فشلت كل الدعاوي بشرقنا يجور علينا من يشاء ويعتدي
ولم تثمر الأعمال في حقل واعدٍ إلى أن ألفنا زلة المتعود
وعدنا بسوء الحال في جاهلية فلا خُلُقُ يُرعى ولا روح معبد
لقد لفظت روح الإباء أنوفنا تمادي جبار وحجة ملحد
لقد زفر الطوفان فالشر غالب فهم فوق بحر بالأعاصير مُزبد
وأصبح حلم الله بين عباده بشرٍّ يعم النّاس غير محدّد

و ماجت بحال الأضعفين مطامعٌ شعوبا وأفرادا على كل مرصد
بذا تستحق الأرض غضبة قادر فكم سيد أفضى إلى سيف سيد
سيأخذ بالظلام من حيث أمنهم رمتهم على طول المدى بالتبلد
وما كتم التاريخ سراً لظالم فشا الران حتى لا ادّكار لمهتد
ولكن أخلاق الأنام جِبِلّةٌ على كبد والجيل بالجيل يقتدي
فلا عَبْرة إلا وتُنسى بعبرة تعجَّله قومٌ بزيفٍ مفند
وكم جازت الأجيال أمداء عيشها ثنى اليأس عنا يومه دون مولد
ولم يزل المهديُ حلماً مفضّلاً وينشأ جيل لم يصيخوا لمفسد
وقد أبطأ المهدي عنا كأنما فلا خنجرٌ أو شاهرٌ لمهند
فما يصلح الدنيا سوى طمس أهلها وهم حَرَسٌ لله عُمّار مسجد
فلم تمش رجلي في عكاظ ومربد
فلم يعرفوا إلا المحبة بينهم وإن قيل حلاّم فما الرد مسعدي
إذا زرعوا قمحاً تنادوا لأكله سواي بديوان وأرمى بفدفد
تكنّفني همي فعشت بمعزل ضياع الصدى في رَجْعِهِ المتردد
إذا قيل عني شاعر قلت عفوكم يفتش عن مرعى توارى ومورد
سأطوى إذا جاء الزمان كما وإن قال ماء فليُنِخْ للتزود
انطوى
وأصبح في الآذان مكرور لفظه غديراً ومرجاً لم يتاحا لمُجمد
ولن تعدم المومأة رائد أهله
فإن قال روض فليَسُمْ بحشيشه
وإلا فما ذنب الأعاصير إن طوت

ففي القصيدتين ينسى أو يتناسى الشاعر من يخاطبه، فيحدّث نفسه بأفراحه وأتراحه، وتقل التعبيرات الخطابية المجلجلة [٢٣]، فالقصيدتان

(٢٣) عبدالرحمن الهليل، الهمس في الشعر الحديث ص ١٦٠

غير مناسبتين للإلقاء المنبري، أو الأجواء الجماهيرية، بل هما قصيدتان تحمل كلٌ منهما فكرة ورؤية خاصة يؤمن بها الشاعر، فيهمس بها إلى نفسه أولاً بصوت خفيض، ثم إلى جمهور قليل مقرّب من الشاعر فكرياً ووجدانياً وذوقيا، ثم يضعها في ديوان ليقرأها ويتفاعل معها كل من يجد أنها تمثّل رؤيته، دون أن يسعى إلى التأثير العاطفي، وإنما يسعى إلى التأثير العاطفي الذي يسبقه اقتناع عقلي.

والهمس عند السناني ليس محصورا في الهمس الصوتي من حيث مخارج عدد من الحروف المجموعة في عبارة (سكت فحثه شخص)، وإنما هو همسٌ أشمل من هذا التحديد، وهو أن تكون القصيدة قصيدة مقروءة عبر حاسة النظر، ثم تأخذ طريقها إلى عقل القارئ ثم وجدانه إن اقتنع بها بعد فترة من التأمل، دون أن تكون مصحوبة بأي مؤثر صوتي أو تعبيري أو جسدي.

كما تتميز القصيدة الهامسة عند الشاعر بالميل إلى الشرح والتوضيح وتداعي المعاني والأفكار، لأن الشاعر حين يكتب القصيدة لتُقرأ فهو يدرك أن القارئ يكون ـ غالبا ـ في فسحة من وقته، وفي استعداد نفسي ومزاجي، لأن بإمكانه أن يعيد قراءة القصيدة أكثر من مرة، أما حين يكتب الشاعر القصيدة لتُسمع أو لتُقرأ فهو يراعي أن المتلقي يكون غالبا في عجلة من أمره، أوفي ضيق من وقته، أو في وضع ضعيف من التركيز، فيميل الشاعر إلى التركيز على الجانب الصوتي الخارجي.

ومما يساعد على تحقّق الهمس عند الشاعر صدقُه مع نفسه، وولاؤه لمعتقده وقناعاته [٢٤]، فالقصيدة الهامسة ـ عموما ـ تشبه الرسالة الشخصية الموجهة لفرد أو مجموعة محدودة، أما القصيدة غير الهامسة فهي كالخطبة الموجهة لجمهور كبير لكي تُسمعهم غالبا ما يريدون لاما يريد الكاتب.

بين الإنشاء والخبر:

(٢٤) أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة ص ١٤

من اللافت في أسلوب الشاعر السناني أن الأساليب الخبرية هي الأكثر حضورا واستخداما من الأساليب الإنشائية، حتى لقد نجد قصائد كاملة ليس فيها أسلوبا إنشائياً واحداً، من مثل: قصيدة من على جبل المكبر(٣٢بيتا) وقصيدة تجاهلتني(١٤بيتا)، وقصيدة على قبر سيدتي (٥٨بيتا)، وقصيدة فلسفتي في شعري(٥٠بيتاً)، وقصيدة لهونا (٣٨بيتا)، وهذه القصيدة الأخيرة نظمها في عام ١٤٠٦هـ، وفيها يقول:

لَهَوْنا وما تلهو الحياة بشأنها وتاهت خطانا في هوانا المعبد
نسير على ظهر الرياح فحيثما تولّت تولّينا إلى سدفة الغد
ونختار والأقدار يومض ضوؤها ونختار لكن لا ضمان لمقصد
وأكثر آفات الورى من عقولهم تورطهم في لغز أمر معقد
تروضه كبرى القوى لاحتوائنا ومن ذاتنا أحبولة المتصيد
نهيم بأفلاك الجواذب سذجا فنجذب عن عمد وغير تعمد
وعدنا صغارا بعد تاريخ نضجنا ولَمّا نُناهز في سبيل التمجد
ولم تصقل الأديان سوء طباعنا فعدنا كما كُنّا ولم نتجدد
وما عَصَمَتْنا في صراعٍ عقيدةٌ ولكن بقينا في إسار التعقّد
ومازال حادينا يشيد بوحدة خيالا ولم نحكم أساس التوحد
ولو أننا قمنا فرادى بمنهج سويٍّ لقلنا ربما للتعدد
وَهَتْ لبناتُ القصر قبل بنائه لذاك فما جدوى مريض ومقعد
عواصم تخفي العجز تحت تخط مواعيدا بغير تقيد
شعارها فلم تظفر الأحلام إلا بموعد
لقد فشلت كل الدعاوي بشرقنا سوى خيبة الآمال للمتجلّد
ولم تثمر الأعمال في حقل واعدٍ يجور علينا من يشاء ويعتدي
وعدنا بسوء الحال في جاهلية إلى أن ألفنا زلة المتعود
لقد لفظت روح الإباء أنوفنا فلا خُلُقٌ يُرعى ولا روح معبد
لقد زفر الطوفان فالشر غالب تمادي جبار وحجة ملحد
وأصبح حلم الله بين عباده فهم فوق بحر بالأعاصير مُزبد
و ماجت بحال الأضعفين مطامعٌ بشرٍّ يعم النّاس غير محدّد
بذا تستحق الأرض غضبة قادر شعوبا وأفرادا على كل مرصد
سيأخذ بالظلام من حيث أمنهم فكم سيد أفضى إلى سيف سيد

وما كتم التاريخ سراً لظالم رمتهم على طول المدى بالتبلد
ولكن أخلاق الأنام جِبِلّةٌ فشا الران حتى لا ادّكار لمهتد
فلا عَبْرة إلا وتُنسى بعبرة على كبد والجيل بالجيل يقتدي
وكم جازت الأجيال أمداء عيشها تعجَّله قومٌ بزيفٍ مفند
ولم يزل المهديُ حلماً مفضّلاً ثنى اليأس عنا يومه دون مولد
وقد أبطأ المهدي عنا كأنما وينشأ جيل لم يصيخوا لمفسد
فما يصلح الدنيا سوى طمس أهلها فلا خنجرٌ أو شاهرٌ لمهند
وهم حَرَسٌ لله عُمّار مسجد
فلم يعرفوا إلا المحبة بينهم فلم تمش رجلي في عكاظ ومربد
إذا زرعوا قمحاً تنادوا لأكله وإن قيل حلاّم فما الرد مسعدي
تكنّفني همي فعشت بمعزل سواي بديوان وأرمى بفدفد
إذا قيل عني شاعر قلت عفوكم ضياع الصدى في رَجْعِهِ المتردد
سأطوى إذا جاء الزمان كما انطوى يفتش عن مرعى توارى ومورد
وإن قال ماء فليُـــــنِخْ للتـــــــــزود
وأصبح في الآذان مكرور لفظه غديراً ومرجاً لم يتاحا لمُجمد
ولن تعدم المومـاة رائد أهـــــــــله
فإن قال روض فليَـــــــــسُمْ بحشيشه
وإلا فما ذنب الأعاصير إن طوت

وهذه الأساليب الخبرية لايُقصد بها فائدة الخبر، وإنما يُقصد بها لازم الفائدة كما يقول البلاغيون، فما يتحدث عنه الشاعر معلومٌ في الغالب للمتلقّي، ولكنه يعبر عنه كنوع من التعبير والتصوير والتأكيد لما يشعر به من مشاعر، وتعود غلبة الأساليب الخبرية لدى الشاعر إلى:

١ - أن الأسلوب الخبري هو سمة الشاعر خصوصا، والإنسان عموما حين تتقدّم به السن، ويكتسب الكثير من الخبرات والتجارب، ويمتلئ بالمخزون من المعاني والآراء والأفكار، فيقلّ حديثة وتكثر

معانيه، فتأخذ العاطفة المتأججة الغالبة في مقتبل العمر في الخفوت والهدوء، وتأخذ النزعة العقلية الفكرية في الصعود والارتفاع، فيرى الشاعر أن وقت التعبير عن هذا المخزون من المعاني والأفكار قد حان، انطلاقاً من القيام بالدور الاجتماعي الإصلاحي نحو الأجيال القادمة، ويخشى أن السكوت تقصيرٌ وإخلالٌ بالأمانة.

٢ - أن الأسلوب الخبري من أبرز سمات ظاهرة الهمس، التي سبق أنها من أميز الظواهر الفنية لدى الشاعر السناني، والهمس ليس كالجهر، فمن يهمس في آذان الآخرين فهو يتحدث إليهم باتجاه واحد من المُرسِل إلى المتلقي وحسب، وبهدوء وبصوت منخفض لإيصال معنى ما لكي يحصل التقبّل والقبول والاقتناع، أما من يخاطب الناس بصوت جهوري وبأسلوب إنشائي فإن خطابه التواصلي يسير باتجاهين، الاتجاه الأول: من المبدع إلى المتلقي - آمرا أو ناهيا أو منادياً أو مُستفهِماً - والاتجاه الثاني من المتلقي إلى المبدع كردّة فعل - إما قولا أو فعلا - وعندئذ يحدث التفاعل بينهما، وتتحقق الفائدة من الخطاب.

٣ - أن الأسلوب الخبري هو أسلوب الاستقرار النفسي والعاطفي، أما الإنشائي فهو أسلوب الحيرة والافتقار إلى الآخرين، للبحث عن الدعم النفسي أو الدعم الحسي، وهذا الأسلوب الأخير يظهر في أوقات الضعف وقلة الحيلة، في فترات الحداثة العُمرية، أو في فترات الشيخوخة، فإذا ماقارنّا بين قصائد الشاعر السناني في فترات الشباب، وقصائده في فترات الكهولة نلحظ هذه الملمح بارزاً فيها، ففي الفترات الأخيرة من حياته قد لانعثر على أسلوب إنشائي واحد في قصيدة كاملة، في حين تتكرر الأساليب الإنشائية في قصائده المبكرة (٢٥).

٤ - وبما أن الجُمل الخبرية أكثر من الجُمل الإنشائية لدى الشاعر السناني، فسيكون عندئذ الزمن المسيطر في قصائد الشاعر هو الزمن الماضي أو الحالي، لأن الخبر هو تعبيرٌ عن معنى وقع قبل زمن التكلّم، أما الإنشاء فهو عبارة عن إنشاء معنى جديد غير واقع قبل زمن التكلّم، فنجد الشاعر يعبّر بكثرة عن أفكار ومشاعر ومعان من الزمن الماضي،

(٢٥) انظر تلك القصائد في كتاب: شعراء نجد المعاصرون، عبد الله بن إدريس ص ٢٧١ ومابعدها

والماضي هو ميدان التعبير عند الإنسان عموماً حين تتقدّم به السنّ، بعد أن يكون قد اختزن رصيداً من الخبرات، ومرت به الكثير من الأحداث، أما الإنسان في مقتبل العمر فهو ينظر بتلهف واستعجال ـ مع قدرٍ من التوجس والتخوّف ـ إلى المستقبل، مُنادياً، أو مُستفهماً، أو طالباً من الآخرين بأمر أو نهي مُعبّراً عن الحاجة إلى الآخرين، ويُلحظ هذا بوضوح في شعر السناني، حين نقارن بين قصيدة من قصائده المبكرة (٢٦) وقصيدة من قصائده الأخيرة.

٥ ـ الأسلوب الخبري أسلوب حياديٌ مع المخاطب وغير مُلزِم، فهو تعبير عن رؤية ورأي، مَن شاء أخذ به ومن شاء تركه، فهو أسلوب يراعي احترام المتلقّي والتأدب معه، فلا توجد فيه أساليب أمر أو نهي، حتى وإن كان الأمر دُعائياً التماسياً، أو النهي دُعائيا التماسياً، ومن هذا التأدب مع المخاطب: التقليل من استخدام المؤكّدات في الأسلوب الخبري، فبالنظر إلى قصيدة (لهونا) السابقة نجدها خالية إلى حدّ كبير من المؤكدات، إذ الحاجة إلى المؤكدات تظهر حين يكون المخاطبون مُتردّدين أو مُنكِرين للخبر، أو يكون المتحدّث غير واثق أو غير صادق بما يقول، والشاعر السناني لايريد أن يظهر بإحدى هاتين الصورتين.

الرؤية الشعرية:

لكل شاعر رؤية شعرية، فمنهم من أذاعها وصرّح بها في شعره، أو في مقالاته أو في الحوارات معه، ومنهم من لم يعلنها ويصرح بها لأن الفرصة لم تواته لهذا، وحين يمتلك الشاعر رؤية وفلسفة شعرية ووعياً بتفاصيل العملية الإبداعية فهي علامة نضج واكتمال، وهي بوصلة تدلّه على الاتجاه الشعري الصحيح والمناسب، وتمنح شاعريته بصمةً وتميزاً عن غيره، وهي أولى علامات النضج والاستقلال والتأثير، وقد أجمل الشاعر السناني رأيه وموقفه من بعض الرؤى والمفاهيم حول الشعر وهمومه، ومنها:

١– بين الإبداع والمبدع:

(٢٦) القصائد مرفقة مع ترجمة الشاعر السناني في كتاب: شعراء نجد المعاصرون، عبد الله بن إدريس

يرى الشاعر السناني أن من أهم سمات الأديب الأصيل أن ينطلق في إبداعه من قناعاته وماتمليه عليه ذاته وحسب، ومن ثمّ الثقة الكاملة بشخصيته وكيانه الشعري، فهو يرى أن مقياس الجودة والاستحسان عنده يعود إلى ذوقه الشخصي، فهو ينادي باستقلالية الشاعر عن كل مؤثر خارجي والانطلاق من قناعاته الخاصة، ورؤيته، فصاحب الموهبة المتميزة لايستظلّ بظل شاعر أو شعراء متقدّمين، أو مدارس أو مذاهب محدّدة، ولايقيس نجاحه بكثرة إنتاجه، أو كثرة جمهوره، فسوق الشعر مفتوح لكل مبدع لطرح إبداعه، ومفتوح لكل متلقٍ لاختيار مايروق له وتميل إليه ذائقته، دون إملاءات من أحد.

أما مقوّمات الإبداع: فيرى أن أهم جناحين يحلق بهما المبدع هما: قوة الخيال، وتوافر الموهبة والاستعداد، فهما اللذان يدفعان المبدع للسعي وراء كل مايكفل للإبداع من نجاح وتطوّر، وتغذية الموهبة بما يلزمها من روافد، من قراءات أدبية، وثقافية، فالشاعرية همٌّ دائم، ومسؤولية مستمرة، وإخلاصٌ للإبداع دون أي اعتبارات خارجية، متى ما أراد الشاعر أن يكون رقماً مميزا في عالم الشعر، ومتى ما أراد أن يصل إلى ما سماه الشاعر بـ (حكمة الشعر) التي وردت في الأثر بأن من الشعر (حكمة)، وهذه الحكمة لايصلها إلا الشاعر الموهوب المخلص لموهبته، ففي قصيدته (فلسفتي في شعري) يقول:

فما الشعر إلا سوقُ عرضِ تجارةٍ ... وفي الناس مبتاعٌ وآخر مُحْجِم
وتختلف الأثمان حسب عروضهـــــا ... على أن حال السوق منها التحكم
صحبتُ يراعي وانبرينا لرحـــــلةٍ ... نهيّم في وديانها ما نُهَيِّم
فلا هجر مما روض الناس مهره ... ولا ذاك ممدوح ولا ذا مُذَمّم
سلكنا على طبع السجية دربنا ... وننجد في جني الزهور ونتهم
كأنا أضعنا في فلاة كريمة ... فنحن على آثارها نترسم
نُسائل عنها كل روض ومنهل ... وننشدها أن قام سوق وموسم
فلا ينتهي تطوافنا في طلابها ... كلانا بمَجْنَى حكمة الشعر

مغرم

٢- بين القديم والحديث:

وهي قضية أدبية قديمة متجدّدة، تُطلّ برأسها بين كل عصر وآخر، وفترة وأخرى، فالشاعر السناني يرى أن كل قديم كان في يوم من الأيام حديثا، وكل حديث سيصبح قديما، وأن للشعر - عبر التاريخ الأدبي - فترات قوة، وفترات ضعف، وأن لكل زمن - سياسي أو أدبي - دولةً ورجالاً، فإذا ازدهر الأدب ونهض أشرقت الأرض الأدبية بأنوار الجديد من الأفكار والصور، وإذا هزل الأدب وشاخ في فترة ما ظهرت على الإبداع آثار الضعف من مثل: ضعف المواهب والاستعدادات، وقد سماه الشاعر بـ(التسوس)، وليس ضعف الأدب في قلّة في الإنتاج والإبداع، أو في قلة عدد المبدعين، وإنما في كثرة الإنتاج مع ضعف المحتوى، أي تضخّم الظاهر الأدبي، مع ضعف القيمة الفنية، وضياع بصمة الأديب على المستوى الفردي، وبالتالي فقدان البصمة الثقافية للمشهد الأدبي، باستيراد واستهلاك منتجات الأدباء الآخرين من متقدّمين أو متأخرين دون وعي، ودون مراعاة لملاءمتها للعصر وللثقافة، كما سماها الشاعر بـ(تهجين العقول)، فيقول:

وما الشعر إلا أمة أو مدينة ... لها صولة في دولة ثم تهرم
فإن هي شبَّت فهي دنيا عجيبة ... وإن هي شاخت فالثقافة مأتم
هنا لك يبدو في اليراع تسوّسٌ ... ويظهر في جسم الحروف التورم
وتنتحل الآداب أفكار غيرها ... إلى أن ترى الأحفاد غير جدودهم
ويُحسر رأس الشعر وهو المعمم ... بأفكارهم رغم الملامح منهم
ألا أن تهجين العقول بليةٌ ... هلاكٌ ومسخٌ ما عليه ترحم
فيا قلمي ما نحن إلا بقيةٌ ... بأسلافهم قاد الحياة التقدم
أصالتنا ليست جموداً كقولهم ... ونحن ابتكرنا رغم ما كان يزعم
وما العجز إلا أن نصير لغيرنا ... دعاةً ونستوحي المحاكاة عنهم
فهم أخذوا عنا مبادئ علمهم ... ونحن من اليونان كنّا نترجم
فلا العيب عيب الاقتباس وإنما ... خلي فغزو الفكر أدهى و أشأم

التـ على معول والشعر كالحي يهدم
ألا عبقر والنقد شدّ حزامه حديثاً فأين الرسم أين المصمم
إذا هدم الحي القديم ليبتني سوى عجمة بين الحروف تغمغم
وقد أتحفونا بالبديل فلم نجد أم الشعر شيءٌ فوق ما الناس تعلم
فلم ندر هل كان القصور بفهمنا فنحن بعصرٍ روحه التكنلوجيا فهل صار بالكمبيوتر الشعر ينظم
كفانا اشتطاطاً ليس للشعر ساحرٌ وما كان إلا غاية ثم نضجها تراثٌ وتجديدٌ فهل من يُنَظِّم
وما قال ميزان الخليل توقفوا معانٍ وألفاظٌ ووزنٌ منغم
فان عجزت عن روعة الشعر أمة ولكن على أحفاده أن يتمموا وحُجّتها أن القوالبَ تحكم
فما الفكر محدودٌ بها مع قدرة وليس لزاماً أخذ ما ليس يلزم
ولن تقبل الأذواق ما ليس سائغاً ولو قيل شعرٌ فهو شعرٌ محرم
تغرّبت الألفاظ عن معطياتها إشارات تمتام بها الشعر طلسم
هي الطفل لم يولد بيوم تمامه فللطفل أطوار وفيها التوحم
مُسُوخٌ وفيها من ثرى الشعر ترسّخ فيها الصانع المتوسم خامة فمن بينها لولا التجـــــاوز
أخص وأستثني ما أنا ملهـــم مطـــــــلِقٌ

ويرى الشاعر السناني أن المخرج من هذه العلاقة الجدلية، والإشكالية المتجددة أن يؤمن الأدباء بعالمية الأدب والفكر، فليس لهما عصر معين أو مكان معين، وأن يؤمن الأدباء بـ(التكاملية) بين العصور والمذاهب، فكل أديب يكمل مابدأه الأوائل، والمتأخر يكمل مابدأه المعاصر، على أن يضع كل مبدع بصمته وجهوده على أدبه ويقدّم مالديه من إضافة، دون إلغاء واستبعاد لأحد، فالعرب أخذوا عن اليونان، ثم أخذ الغرب عن العرب، ثم عاد إلى العرب مرة أخرى، وهكذا تسير حركة الأدب والفكر والمعرفة في عملية ديناميكية تفاعلية مستمرة، ولن يبقى ويُحتفى إلا بالبديل والجديد الملائم، وماعداه سيكون مصيره إلى الزوال.

ثم يلخّص الشاعر السناني موقفه من القديم والحديث بأنه لايؤمن بالفوضى وضياع المعالم تحت غطاء التجديد فهو اشتطاط كما قال، ولايؤمن كذلك بالاستسلام لمقاييس المتقدمين تحت غطاء الأصالة والمحافظة، ويضرب لذلك مثالا بأوزان الخليل بن أحمد العروضية، فهي ليست قيوداً للشعراء، فمَنْ وضعها هم شعراء، فمن حقّ كل شاعر أن يجرّب ويحاول ويُضيف، وسيبقى البديل الأجود والأجمل، ويبقى الحُكم للذوق السليم، مهما حاول المتعاطفون أن يقوموا بالتسويق والتبرير.

وبرغم هذا الرأي الجريء فلم أجد له من بين نصوصه محاولات للخروج على الأوزان العروضية، أو تجريب أوزان جديدة، إلا إن كان قد رآها محاولات لم يُكتب لها النجاح لعدم تقبّل الذوق لها، فتخلّص منها ولم يحفظها، إذ لم أجد له قصائد تفعيلية، كما لم يخرج على الأوزان المعروفة، إلا خروجا يسيرا حين نظم على بحر الرمل قصيدة تتألف من (ثمان) تفعيلات في حين أن بحر الرمل يتألف من ست تفعيلات، مع التزام قافية موحّدة للشطر الأول، وقافية أخرى مغايرة للشطر الثاني، ومن هذه القصيدة قوله:

منذ أوحى الله بالحق إلى آدم أمره ... رغم ما جدّ على الأرض مضى لم يتغير
بلّغ الرحمن بالإبلاغ بين الخلق عذره ... قرّر التوحيد والإيمان مَنْ أنذر؟؟
قصة الأحبار لم تفتح على التقدير ثغره ... عادلٌ من خطّ غيب الناس في اللوح وأعذر
حجة الله على الناس فلم يأخذ بغِرّه ... قد هدى الله جميع الناس حتى من تكبر
جدل بالجبر والتخيير لم يبلغ مقرّه ... كل إنسان على الجدين في درب مخيرّ
نزه الله عن الإجبار للخاطئ قدره ... إنما من ساء فهما ثم ظناً يتحير
هو رحمن رحيم لم يرد للخلق عسره ... بدأت في آدم القصة مع إبليس تظهر
إن من سار إلى الشر فلن يقبل خيره ... مثله من صار للخير فلن يقبل بالشر

ومن صور التجديد في شكل القصيدة: الانتقال من قافية إلى أخرى في القصيدة الواحدة، من مثل قصيدة: مدرستي وجامعتي، وقصيدة في سوريا والعراق، ومن أبياتها:

يا شاكياً من جاره وأخوه منه يشتكي
وأخوه يشكو جاره فهما بأمر مربك
يتعاركان ويقرعا ن على الخلاف بـ (دُمبك)
كسرى يلمع تاجه (٢٧)
وهناك (حاييم) على ليعيد سطوة (مزدك)
الـ ـوعد المقدس يتكي
وهما على فوضاهما سدرا بمبك مضحك
يا أخوتا والله ما قدس الطريق ولا الغرض
هذا هو الطبع القديم وذلكم عين المرض
تتقاتلون بساحة لم تخل من وحش ربض
متربصٌ في فرصةٍ بل ربح فرصته قبض
في شغلكم عن أمره كسبٌ له ولنا مضض
أتراهنون عدوكم ولقد تحقق ما افترض
أنسيتُمُ أسلافكم وسلوكهم في الأندلس
غرس الجدود لهم فما حفظوا العهود وما غرس
في ظلمةٍ من أمرهم مثل الفراش على القبس
أخذوا وهم في سدرة أخذ اللصوص يد العنس
كيد العدو إذا غوى رأيٌ يكشف ما التبس
ليس العدو بنائمٍ يا من ينام على الفرس

وقصيدة أين المخرج، وهي تقوم على تقسيم القصيدة إلى أبيات من بحر الرمل وكل بيتين يتفق فيهما الشطر الأول والثالث بروي، والشطر الثاني والرابع بروي آخر، ومن أبياتها:

---

(٢٧) من آلات الإيقاع، تُصدر دويّاً كدويّ الطبل

قد سئمنا كل شيء حولنا وسئمنا ما يسمى بالطرب
لم يَعُدْ شيءٌ جديدٌ عندنا ليت شعري أم بنا الحس انقلب
نتهادى في ثيابٍ من خمول ورتيب العيش يدعو للملل
صخب الدنيا دويٌّ في طبول حوله تزرع باقات الأمل
آه من هذي الحياة التافهه سفر لا يحمد الساري مداه
تتراءى في الغصون الفاكهه ودماء الشوك في أيدي الجناه

وماعدا هذه النماذج اليسيرة فلم يُشغل الشاعر السناني نفسه بالتجديد الشكلي الخارجي، فلم يكتب شعرا تفعيلياً أو منثوراً، ولم يكتب شعراً موشحاً، فهو مشدود إلى الشكل العروضي الخليلي، فقد كان يكتب المطولات غير متبرّم منها، وجعل اهتمامه نحو التجديد في الأفكار والمعاني والصور واللغة، ومايضعه الشاعر على أعماله من بصمة تميّز إبداعه عن إبداعات الآخرين، فقد لمستُ ـ من خلال مسودات قصائده ـ حرصه على التماس المفردة والجملة والصيغة اللغوية المُعبّرة عن ضميره، ورؤيته، وعصره وحياته اليومية.

المراجع

[١] إبراهيم عبدالرحمن التركي: عبد الله العلي النعيم، الإدارة بالإرادة من إصدارات مركز صالح بن صالح الاجتماعي ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م
[٢] إبراهيم المطوع: حركة الشعر في منطقة القصيم، نادي القصيم الأدبي ١٤٢٨هـ

[٣] إبراهيم المطوع (جمع وتحقيق): ديوان الشاعر عبدالله حمد السناني (مخطوط) ١٤٣١هـ /٢٠١٠م
[٤] أحمد الحوفي، وحدة اللغة والوطن في الشعر العربي، القاهرة ١٩٦٤ م.
[٥] أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، القاهرة: عالم الكتب
[٦] أحمد قبش، تاريخ الشعر العربي الحديث ١٣٩١هـ /١٩٧٠م
[٧] أحمد المحسن، شعر حسين سرحان دراسة نقدية، نادي جدة الأدبي ١٤١١هـ /١٩٩٠م
[٨] بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.
[٩] = = = = =: البلاغة الغربية في ثوبها الجديد، بيروت: دار العلم للملايين ط/ الثالثة ١٩٩٠م
[١٠]حسن الهويمل: اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، نادي القصيم الأدبي، ١٤٠٠هـ.
[١١]الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصحاح، المدينة المنورة: مكتبة طيبة ١٤٠٧هـ.
[١٢]صالح أحمد العثيمين: الشواطئ العطشى (ديوان شعر) مركز ابن صالح الاجتماعي ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م
[١٣]صالح محمد القاضي: عبد الله السناني، شاعر النقاء والرثاء، المجلة العربية، عدد نوفمبر١٩٨٨م / ربيع الثاني ١٤٠٩هـ.
[١٤]طلعت صبح السيد، التيارات الفنية في الشعر السعودي الرياض: دار آل حسين ١٤٢٠هـ.
[١٥]عبدالرحمن الهليل: الهمس في الشعر الحديث الرياض ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
[١٦] عبدالقادر أبو شريفة وزميله، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، الأردن: مكتبة المنار بالزرقاء ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م
[١٧]عبدالكريم الأسعد، سعد أبومعطي المربي والشاعر، الرياض: دار المعراج للنشر ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

[١٨]عبدالكريم الأسعد: من أحاديث الذكريات في عنيزة بالذات، مركز ابن صالح الاجتماعي ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م
[١٩] عبدالكريم حمد الحقيل، شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب ط/ الثالثة ١٤١٣هـ.
[٢٠]عبدالكريم راضي جعفر: رماد الشعر، بغداد ١٩٩٨م
[٢١]عبدالله الحامد: الشعر الحديث في المملكة، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٠٨هـ.
[٢٢]= = = = نقد على نقد، ط/ الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م
[٢٣]عبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٣٨٠هـ
[٢٤] عبدالله الجلهم، خواطر مرسلة، عنيزة: مركز ابن صالح الاجتماعي ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م
[٢٥]عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية القاهرة ١٣٧٩هـ /١٩٥٩م
[٢٦]عصام عبدالله السناني، سيرة وترجمة لوالده، كتبها في تاريخ ١٤٣٠/٦/٩هـ، ونشرها في مواقع ومنتديات الكترونية.
[٢٧]علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية المعاصرة ١٩٧٨م
[٢٨]محمد حبيبي، الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث، المهرجان الوطني للتراث ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
[٢٩]محمد عبدالله السلمان: مدينة عنيزة بين الأمس واليوم ١٤١١هـ
[٣٠]محمد مندور: في الميزان الجديد، القاهرة: دار نهضة مصر
[٣١] مركز صالح بن صالح الاجتماعي: معلم ومجتمع ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
[٣٢]مصطفى السحرتي، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، جدة: تهامة للنشر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م

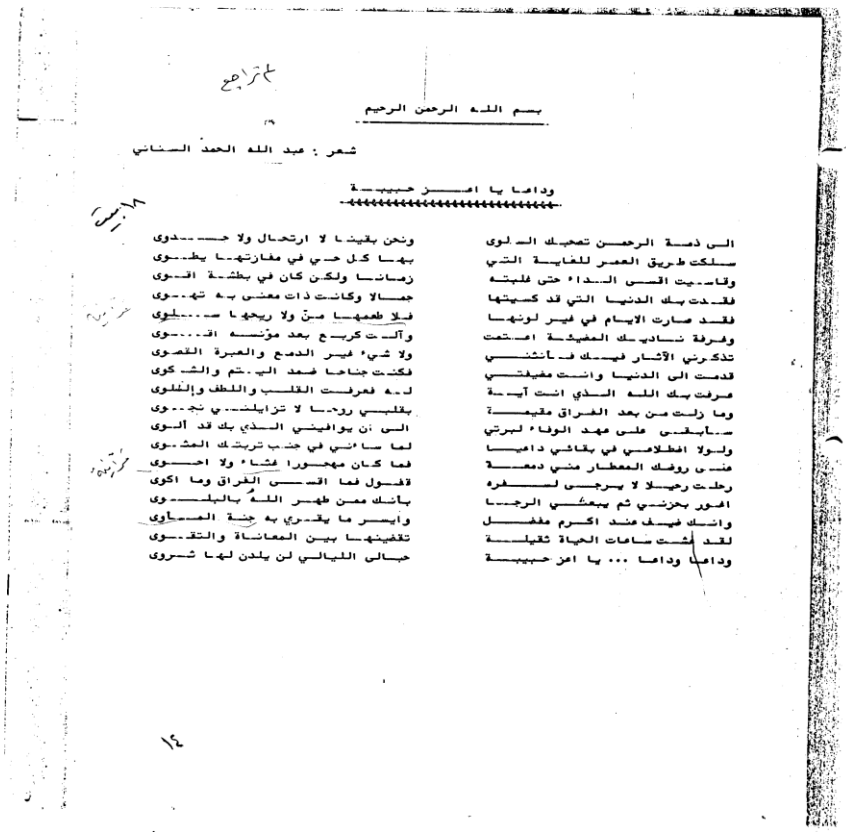

بسم الله الرحمن الرحيم

شعر : عبد الله الحمد السناني

وداعا يا اعز حبيبة

الى ذمة الرحمن تصحبك الذكرى ... ونحن بقينا لا ارتحال ولا جدوى
سلكت طريق العمر للغاية التي ... بها كل حي في مفارقتها يطوى
وقاسيت اقسى الداء حتى قليته ... زمانا ولكن كان في بطشة اقوى
فقدت بك الدنيا التي قد كسيتها ... جمالا وكانت ذات معنى به تهوى
فقد صارت الايام في غير لونها ... فلا طعمها حلو ولا ريحها حلوى
وفرقة ناديك المفيشة اشتت ... وآلت كرب بعد مؤنسه اقوى
تذكرني الآثار فيك فاثني ... ولا شيء غير الدمع والعبرة القصوى
قدمت الى الدنيا وانت مفيتي ... فكنت جناحا فقد اليتم والشكوى
عرفت بك الله الذي انت آية ... له فعرفت القلب واللطف والتقوى
وما زلت من بعد الفراق مقيمة ... بقلبي روحا لا تزايلني تجوى
سأبقى على عهد الوفاء لبرتي ... الى ان يوافيني الذي بك قد ألوى
ولولا انطلاقي في بقائي داميا ... لما سائني في جنب تربتك المثوى
هنيئا روفك المعطار مني دمعة ... فما كان مهجورا فشاء ولا احوى
رحلت رحيلا لا يرجى لسفره ... فقول فما اقسى الفراق وما اكوى
افور بحزني ثم يبعثني الرجا ... بانك ممن طهر الله بالبلوى
وانك فيه عند اكرم مفضل ... وايسر ما يقري به جنة المأوى
لقد عشت ساعات الحياة ثقيلة ... تقضيها بين المعاناة والتقوى
وداعا وداعا ... يا اعز حبيبة ... حيالي الليالي لن يلدن لها شروى

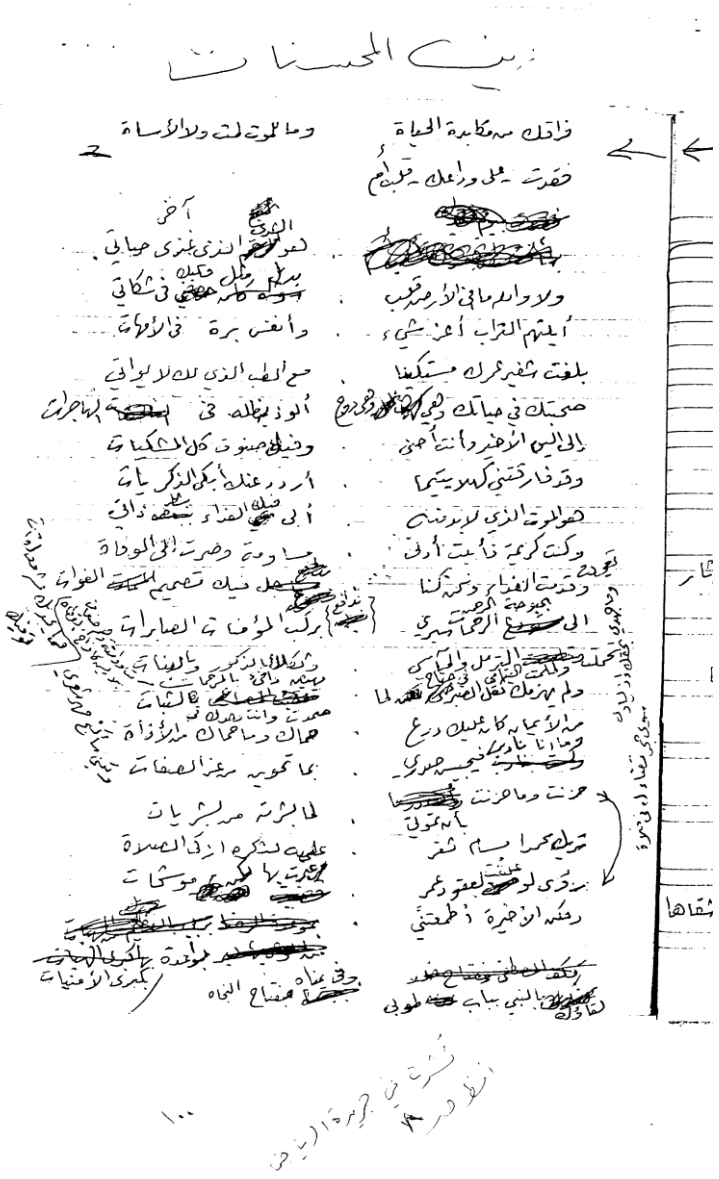

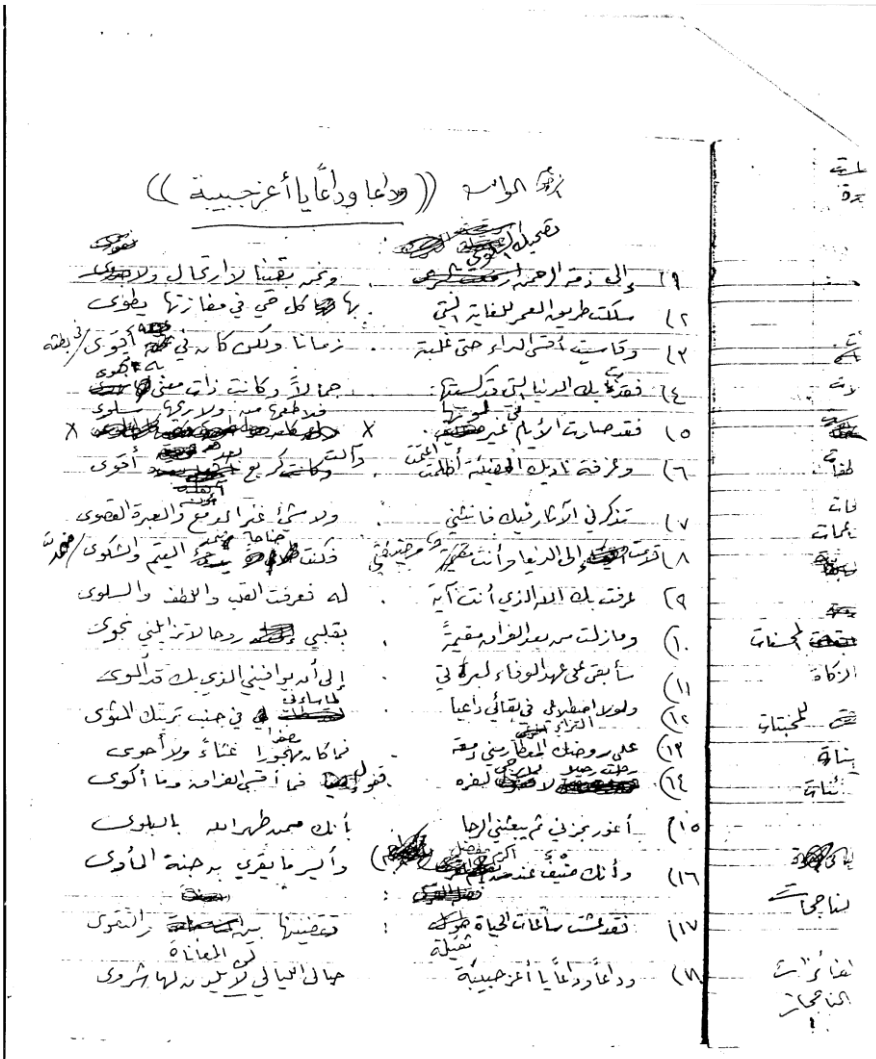

((وداعا وداعًا يا أعز حبيبة))

١) إلى ذمة الأحبة المخلصين ... وتمنه بقينا بذار كمال ولا يطوى
٢) سلكت طريقه العمر للغاية التي ... بها كل حي في مضارتها يطوى
٣) وكانت بحضن الماء حتى غلبته ... زمانا وكان كأنه في أحشاء أحوى
٤) فقد بلغ الرسالة قد كتبت ... جميلة وكانت ذات معنى
٥) فقد صارت الأيام غير مضيئة ... X X
٦) وعرفة ذيك الفضيلة أظلمت ... وكانت كريم أحوى
٧) تذكرني الأيام فيك فاشتني ... ولم يسع غير الدمع والعبرة الحرى
٨) قرأت إلى الدنيا وأنت مضيئة ... وكنت يتيم الشكوى
٩) عرفت بك الدهر الذي أنت آية ... له نعرفت القلب والطف والسلوى
١٠) ومازلت سر سعد العائلة مقيمة ... بقلبي رحمة الله التي نحوك
١١) سأبقى على عهد الوفاء لسيرة ... إلى أبد يا فتنتي الذي بك قد لوى
١٢) ولو اعتطروك في بقائي داعيا ... في جنب تربتك المثوى
١٣) على روضك المعطار يسقي ربعه ... فما كاد يبرأ أحوى
١٤) عليك سلام الله ما ذر شارق ... فما أقسى الفاجعة وما أكوى
١٥) أغور بعزمي ثم يبقيني ارجا ... بأنك محمد طهر الله بالبلوى
١٦) وأنك ضيف عند ... وأيسر ما يقري به جنة المأوى
١٧) تقبلت ساعات الحياة ... تعضيدا بسيرة ... الثرى
١٨) وداعا وداعًا يا أعز حبيبة ... حمال الليالي لا تحيد ولا تروى

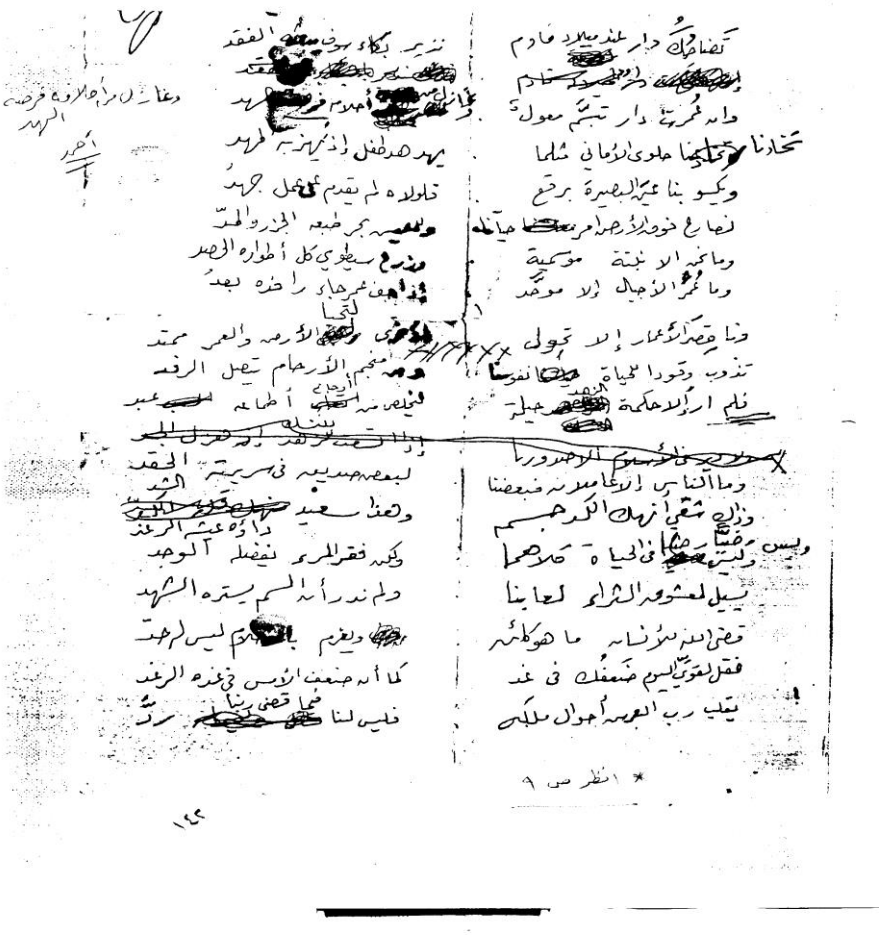

Reflections on the elements of Artistic Formulation in Abdullah al-Snani's Poetry (d. 1988)

Dr. Ibraheem Al-Mutawa
Qassim University

Abstract. The poet Abdullah Hamad al-Snani (1351-1409 / 1930-1988) was one of Onizah poets (a city located in Qassim Province). And he was known as a poet after 1375/1955 in the central region of the Kingdom of Saudi Arabia.

His dealing with press, and with social events was limited. This of course makes his poetry to be few compared to his colleagues, although he was enjoying with an early poetic talent.When Abdullah bin Idris's book: Najd contemporary Poets in 1380 AH / 1960 appeared , the poet al-Snani was among the poets of the book, although He did not attain the age of thirty.

After this great start, it seems that the practical and social life made the poet al-Snani give up to write poetry regularity to some extent. Thus, we did not see him involved in any literary activities or publishing poems in newspapers and magazines although he was, in that time, writing poems that show his interaction and affection towards the private and public attitudes and events.

This research is considered to be the first study about the poet Abdullah Hamad al-Snani. The research deals first with giving a study about the poet life and then moves to explain the topics of his poetry , his poetic language and his vision (theory) of poetry. Finally, this study being a short is a first step and it is expected to be followed by more deeper and focused studies.